أجاثا كريستي

جريمة في وادي النيل

دار النجمة للنشر والتوزيع

جريمة
في وادي النيل

بسم الله الرحمن الرحيم

أجاثا كريستي

جريمة
في وادي النيل

دار النجمة للنشر والتوزيع

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر:
دار النجمة للنشر والتوزيع

يُمنَع تصوير أو إعادة إنتاج هذا الكتاب
ورقياً أو إلكترونياً إلا بإذن خطي مسبَق من الناشر

للاستفسار والطلبات التجارية
AgathaBooks@sardira.com

الفصل الأول

-١-

في قرية مولتون أندر، تلك القرية الجميلة من قرى الريف الإنكليزي الساحر، وقف صاحب حانة التيجان الثلاثة مع زبائن حانته يتهامسون باهتمام بالغ وقد اتسعَت حدقات أعينهم وانفرجت شفاههم بدهشة حينما رأوا سيارة الروزرويس الحمراء تقف أمام مكتب البريد ثم تخرج منها فتاة مكشوفة الرأس جميلة المنظر جذّابة الطلعة، فتاة من نوع يندر رؤيته في تلك القرية، وقد كانت ترتدي ثوباً يبدو بسيطاً في ظاهره فقط.

قال صاحب حانة التيجان الثلاثة لرفاقه وزبائنه: هذه هي صاحبة الملايين العديدة. لقد اشترت قصر السير جورج وضيْعته، وستنفق آلافاً مؤلَّفة في تجديده وإعداده، فعمّا قريب ستكون للقصر أحواض سباحة وحدائق إيطالية، وسوف تهدم نصف القصر لتعيد بناءه من جديد.

- لماذا باع السير جورج القصر؟

- بسبب خيول السباق يا صديقي.

- وكم دفعَت فيه؟

- دفعَت ستين ألفاً من النقود الذهبية فيما سمعت.

فتعالى صفير السامعين؛ فهو رقم خياليّ في نظر أولئك الريفيين، ثم قال محدثهم ليزيدهم ذهولاً: وستنفق أكثر من ستين ألفاً أخرى على التأثيث والإعداد.

- هذا ظلم ولا شك! هذه الفتاة تتمتع بكل شيء: الثروة الواسعة والصحة والشباب والجمال الرائع.

- إنه لشيء عظيم!

وأمسك صاحب الحانة بإحدى الصحف وراح يقلّب صفحاتها ثم قال: إليكم ما نشره محرّر باب الاجتماعيات في صحيفتنا المسائية عن هذه الفتاة الحسناء:

رأيت بين من تناولوا عشاءهم في مطعم «آنتي» الفاخر المليونيرة الشابّة الحسناء لينيت ريدغواي وبصحبتها صديقتها جوانا ساوثوود واللورد ويندلشام. والمليونيرة -كما هو معروف- ابنة ملويش ريدغواي الذي تزوج الأمريكية آنا هارتس. وقد أوصى جدّها لأمّها بملايينه الكثيرة إليها، ثم اختار لها وصيّاً أمريكياً يُدعى أندرو بننغتون ليقوم بإدارة ممتلكاتها إلى أن تتزوج أو تبلغ سن الحادية والعشرين، وهي اليوم موضع الاهتمام لجمالها وثرائها. كما تتناقل الأفواه إشاعة قرب إعلان خطبتها من اللورد ويندلشام المفتون بها.

* * *

خرجت الفتاة من مكتب البريد فاستقلّت سيارتها متوجهة على الفور إلى قصر وود الذي اشترته من السير جورج؛ فقد كانت صديقتها جوانا ساوثوود تنتظرها هناك. وهناك دار الحديث بين الصديقتين حول مشروعات تجديد القصر التي كان معظمها قد تمّ فعلاً ولم يبقَ إلا الخطوات النهائية؛ فلم تستطع جوانا أن تكتم إعجابها فقالت: ما أبرعكِ يا لينيت! لقد أتممتِ الكثير في أقصر وقت.

- لقد استخدمتُ ثلاثة من المهندسين المعماريّين في وقت واحد.

- أنت فتاة أعمال من طراز نادر يا عزيزتي.

ثم تناولت جوانا عقداً رائعاً من اللؤلؤ كان فوق مائدة الزينة وقالت: أظنها لآلئ حقيقية يا لينيت، أليس كذلك؟

- بلى، هي حقيقية، فأنا أكره التقليد في كل شيء.

- آه، أظنه يساوي مبلغاً طائلاً!

- نحو خمسين ألفاً.

- يا لها من ثروة! ألا تخافين أن يُسرق؟

- أبداً.

- لماذا؟

- أولاً لأنني ألبسه دائماً، وثانياً هو مؤمَّن عليه.

– دعيني ألبسه إلى وقت العشاء؛ فأنا أستمتع بوجود هذه اللآلئ الثمينة النادرة فوق صدري.

فضحكت لينيت قائلة: لك هذا.

– أتعلمين يا لينيت؟ أنا أحسدك؛ فأنتِ تتمتعين بكل شيء؛ فأنتِ سيّدة نفسك وفي العشرين من عمرك وصاحبة ثروة هائلة وجمال فتّان وصحّة تامّة، وفوق هذا لك عقل راجح وذهن مرتَّب. متى تبلغين الحادية والعشرين؟

– في شهر حَزيران (يونيو) المقبل، وأعتزم أن أقيم حفل استقبال رائعاً لهذه المناسبة في لندن.

– وعندئذ ستتزوجين اللورد ويندلشام، أليس كذلك؟

فهزّت لينيت كتفيها قائلة: لا أدري؛ فالواقع أن اختياري لم يستقرّ على شخص معيَّن.

-٢-

رنّ جرس الهاتف فرفعت لينيت السماعة، وإذا بكبير الخدم يخبرها أن جاكلين دي بلفور على الخط، فأمرته بأن يوصلها بها فسمعت جاكلين تقول: عزيزتي لينيت.

– عزيزتي جاكلين، لقد افتقدتك منذ زمن بعيد.

– أعلم هذا؛ ولذلك أريد أن أراك في أسرع وقت.

– ألا تستطيعين الحضور يا عزيزتي؟ أنا هنا في قصري الريفي الجديد وأشتاق كثيراً إلى أن تشاهديه.

- أتمنى هذا من كل قلبي.

- إذن استقلّي أول قطار أو سيّارة وتعالي حالاً.

- وهو كذلك. عندي سيارة قديمة جدّاً ذات مقعدين اشتريتها بخمسة عشر جنيهاً، وآمل أن يهديها الله اليوم وأصل بها إليك قبل موعد الشاي؛ فهي صاحبة مزاج. إلى اللقاء يا عزيزتي.

وضعت لينيت السماعة ثم التفتت إلى جوانا قائلة: هذه جاكلين دي بلفور. لقد كانت زميلتي في مدرسة الدير بباريس، وهي أقدم صديقاتي. كان والدها كونتاً فرنسياً، أما أمها فهي -مثل أمي- أمريكية من أهل الجنوب، وقد هرب والدها مع امرأة أخرى، ثم فقدت أمها ثروتها عن آخرها في مضاربات البورصة، وبذلك أصبحت جاكلين خالية الوفاض تماماً، ولست أدري كيف تمكنَت من الحياة في السنتين الأخيرتين!

- إذن فهي من النوع المزعج.

- لماذا؟

- أنا شخصياً إذا حلّ بأيّ شخص من أصدقائي بلاء الإفلاس قاطعتُه على الفور. هذا يبدو نوعاً من القسوة، ولكنه يوفر متاعب كثيرة فيما بعد؛ فدائماً ما يطلب هذا النوع قروضاً لا تُردّ أو، يفرض على المعارف والأصدقاء شراء أزياء وروائح من أردأ الأنواع بأسعار خرافية.

- إذن لو فقدتُ ثروتي اليوم...

– سأقاطعك منذ الغد؛ فأنا لا أحب إلا الموفَّقين الناجحين، والواقع أن معظم الناس مثلي، ولكن أكثرهم لا يعترفون بذلك صراحة.

– ما أقساكِ يا جوانا! ولكنك أخطأتِ الظن بجاكلين على كل حال؛ فقد عرضتُ عليها مراراً أن أساعدها مادياً ولكنها كانت ترفض؛ فكبرياؤها يمنعها.

– لماذا هي شديدة الشوق إلى رؤيتك إذن؟ أراهن أنها تريد شيئاً منك.

– يبدو لي من لهجتها أنها متحمّسة لشيء فعلاً، ولكنني أعرف أن جاكلين تتحمس بسهولة؛ لقد رأيتها مرة وهي مدفوعة بحماستها تغرس مُدية في ذراع غلام!

– ما أفظع هذا! إنها شخصية مثيرة خطيرة إذن؟

– لقد كان هذا الغلام يضرب كلباً صغيراً فنهته جاكلين فلم يرتدع، فحاولَت إرغامه بقوة يديها ولكنه كان أقوى منها، فاستلّت المدية وغرستها في ذراعه.

وفي تلك اللحظة دخلت الخادمة الغرفة فتناولت ثوباً وخرجت لتكويه، فلاحظت جوانا احمرار عينيها فسألت لينيت عن ذلك فقالت: يا لها من مسكينة! لقد كانت ترغب في الزواج بشاب إنكليزي موظّف في مصر كانت تجهل كل شيء عنه، فرأيتُ أنه من الواجب عليّ أن أستفسر عنه لكي أطمئن عليها وعلى مستقبلها، فتبيّن لي أنه متزوج بمصرية وله ثلاثة

أطفال، وعندما أخبرتُها قطعَت علاقتها به، ولكنها تُكثِر من البكاء. إنها معذورة.

* * *

في ذلك الوقت كان اللورد ويندلشام جالساً في ظل شجرة من أشجار حديقة القصر وقد انصرف بصره إلى الواجهة الجميلة التي صار يتمتّع بها قصر وود الريفي، فاستراح إلى ذلك المنظر الذي يُشيع في النفس الغبطة والهدوء والأمن، ولهذا تذكّر قصراً ريفياً آخَر هو قصر أسرته التاريخي المتوارَث المعروف باسم قصر شارلتو نبيوري، وتخيل على عتبته فتاة رشيقة حسناء ذهبية الشعر هي لينيت، فتنهد اشتياقاً لرؤيتها. لقد أصبحت سيدة ذلك القصر العتيد أيضاً، وما زال يأمل أن تقبل الزواج به مع أنها كررت رفضها أكثر من مرة لأن ذلك الرفض لم يكن قاطعاً، بل كان أشبه ما يكون بالإرجاء والتأجيل.

-٣-

في نحو الساعة الرابعة وصلت سيارة صغيرة وخرجت منها فتاة دقيقة التكوين سوداء الشعر لم تلبث أن احتضنت لينيت حين قابلَتها. كانت هذه الفتاة هي جاكلين دي بلفور، ثم قدّمَتها لينيت إلى اللورد ويندلشام الذي لم يلبث أن تركهما معاً، فراحت الصديقتان تتبادلان الذكريات والأخبار إلى أن قالت جاكلين إنها مخطوبة لشابّ وسيم فارع القوام يُدعى سيمون دويل، وإنهما متحابّان إلى درجة الهوَس، ولكنه فقير

-وإن كان ينحدر من أسرة عريقة- وسئم العمل في لندن لأنه يكره حياة المدن، لهذا فهو يبحث عن وظيفة في الريف كناظر لضيعة كبيرة أو ما أشبه، ثم عقّبَت على ذلك بقولها: لا يمكن أن أتزوجه ما لم يجد عملاً بالطبع، ولكنني أيضاً سأموت حتماً إذا لم أتزوجه.

- لا تكوني حمقاء يا جاكلين.

- قلت لك سأموت حتماً؛ فأنا مجنونة به وهو مجنون بي، ولا حيلة لنا في الحياة بغير زواج؛ ولهذا أريد منك أن تساعدينا ما دمتِ قد اشتريتِ هذا البيت والضيعة، فلا بدّ لك من ناظر زراعة. ليتك تجعلين سيمون هذا الناظر!

وراحت جاكلين تؤيد هذه الفكرة وتزكّي خطيبها بحماسة إلى أن قالت لينيت أخيراً: أحضريه لأراه وأتحدّث إليه في الموضوع.

فهجمت عليها جاكلين وراحت تقبّلها في هوس، ثم أسرعت منصرفة كي تبشّره، وأبت أن تنتظر حتى تتناول الشاي.

-٤-

نحن الآن في المطعم الفاخر المعروف باسم «آنتي»، وصاحب هذا المطعم لا يتحرك للاحتفاء بزبائنه البارزين الوجهاء إلا في حالات نادرة جداً، ولكنه في هذه الليلة تحرّك لاستقبال رجل قصير القامة مكتنز الجسم مضحك الشكل له شاربان كثيفان. كان المطعم مكتظاً بحيث ظل السقاة في نصف

الساعة الأخير يعتذرون للزبائن عن عدم وجود موائد خالية، ولكن سرعان ما أحضروا لهذا الرجل القصير المضحك مائدة ووضعوها في أنسب مكان، ثم تولّى السيد بلوندان صاحب المطعم إجلاسه إليها بنفسه وهو يبالغ في تحيّته وإكرامه، ثم اختار له بنفسه أصناف المشروبات والأطباق وراح يجاذبه أطراف الحديث إلى أن يحضرها الخدم فقال له: ألديك قضايا هامة في هذه الأيام يا سيد بوارو؟

- للأسف أنا الآن في حالة تقاعد بعد أن توافرَت لديّ الوسائل المادية للبطالة السعيدة.

- أنا أحسدك على هذا.

- أنت مخطئ؛ لقد بدأت أسأم الفراغ، وما أصدق مَن قال إن الإنسان اضطُرّ لاختراع العمل كي يهرب من أفكاره!

- ولماذا لا تتسلّى بالأسفار؟

- هذا ما عزمتُ عليه، فقد أعددت العُدّة لزيارة مصر في هذا الشتاء؛ فالطقس هناك رائع فيما يقولون، ويمكنني أن أسافر من لندن إلى القاهرة بالقطار عبر أوروبا وتركيا وسوريا كي أتجنّب السفر بالبحر.

- ألا يناسبك سفر البحر؟

ارتعدَت فرائص هيركيول بوارو، رجل التحري السرّي المعروف، لمجرد ذكر البحر. وفي تلك اللحظة بدأت الموسيقى تصدح وبدأ الخدم يتوافدون بالأطباق، فراح بوارو يستمتع

بالطعام والموسيقى. ولفت نظره من بين الراقصين شابّ وفتاة في ريعان الشباب وبهاء الجمال. وبعد انتهاء الرقصة جلسا بالقرب منه فشعر بإشعاع من سعادتهما يغمره ويردّه إلى الشباب. كانت الفتاة شديدة الحماسة مبالِغة في اهتمامها بصاحبها، فراح بوارو يرقبها باهتمام أبوي، وسمع اسم مصر يتردد على لسانهما إذ سمع الشابّ يقول: لا بدّ من قضاء شهر العسل في مصر مهما كلفنا الأمر يا عزيزتي جاكلين. لقد كنتُ أحلم دائماً بمشاهدة الأهرام والنيل والصحراء المترامية.

- لقد حقق الله أحلامنا يا سيمون.

* * *

في صباح اليوم التالي وصلت جاكلين إلى قصر وود ومعها خطيبها سيمون دويل، فرأت فيه لينيت شابّاً طويل القامة عريض الكتفين له عينان شديدتا الزرقة وشعر كستنائي متموّج وذقن بارز وابتسامة صافية جذّابة كابتسامة الأطفال، فمدّت له يدها فتناولها في قبضته القوية الدافئة، وقد أعجبها منه تلك النظرة التي تفيض بالإعجاب الساذج، فشعرت بما يشبه التخدير الخفيف يسري في عروقها، فأعلنَت على الفور أنها اختارته للمنصب الذي طلبَته له جاكلين، وفي أعماق نفسها كانت تهتف بصراحة وجلاء: ما أحسن حظك يا جاكلين!

-٥-

كان تيم آلرتون منطرحاً فوق مقعد من مقاعد الشواطئ

على ساحل جزيرة ملدوكا يتثاءب ويحملق إلى البحر، ويلقي بنظرات جانبية نحو والدته السيدة آلرتون، وهي سيدة في الخمسين من عمرها بيضاء الشعر جميلة الصورة. كانت هذه السيدة تجتهد دائماً في إخفاء حنانها على ابنها الوحيد، ولكن ذلك لم يكُن يجدي لأن ذلك الحنان كان شديداً ولا تستطيع إخفاءه، ولعل السبب أن وحيدها كان مهدَّداً بالإصابة بالسُّل منذ سنوات؛ فكانت تقضي وقتها في العناية به، وقد أغنته بمالها القليل عن العمل.

سألت الأم ابنها عمّا يشغل ذهنه فقال: كنت أفكر في مصر، بلاد الدفء والرمال الجميلة في أحضان النيل الحالم، فكم أتمنّى أن أركب ظهر النيل هذا الشتاء!

– وأنا كذلك، ولكن ذلك يتطلب نفقات طائلة لا يقدر عليها أمثالنا ممّن يحرصون على أن يُخفوا رقّة حالهم ويحفظوا لأنفسهم المظهر اللائق.

– سأتكفل أنا بهذا؛ فقد حدث انتعاش في سوق الأسهم ربحتُ منه أخيراً، وقد وصلني اليوم...

– اليوم؟ لم يصلك اليوم إلاّ خطاب واحد عرفتُ من خط المظروف أنه مرسَل من جوانا.

– هذا صحيح، ولكنني أعني أن خطاب السمسار وصلني مساء أمس.

– ما أخبار جوانا ابنة خالتك وصديقتها لينيت؟

– لقد رحل ويندلشام إلى كندا كسير الفؤاد بعد أن خذلته لينيت ريدغواي وقررت أن تتزوج بناظر ضيعتها قريباً جداً.

– عجباً! لا شك أنه صعلوك.

– لا؛ فهو من آل دويل أشراف مقاطعة ديفونشاير، ولكنه فقير؛ فهو لم يرث شيئاً لأنه الابن الأصغر، وقد كان خاطباً جاكلين دي بلفور أعزّ صديقات لينيت، ويقال إنها كانت متيَّمة في هواه.

– هذا فظيع! وكيف حال جوانا الآن؟

– إنها تشكو من أزمة الآن، حتى إنها تفكّر في فتح محلّ للأزياء.

– يبدو أنها تدّعي الإفلاس؛ فهي ترتدي أفخم الملابس دائماً.

– وماذا في ذلك يا أماه ما دامت لا تدفع ثمنها؟

– ماذا تعني؟!

– لست أعني ما تقصدين، وإنما أقصد أنها تماطل دائماً في تسديد الفواتير.

– دعنا من هذا الحديث. قُل لي متى ستسافر إلى مصر؟

– في شهر كانون الثاني (يناير)؛ فهو أحسن الشهور في مصر.

- عظيم، ولكن لا تنسَ أنني وعدت السيدة ليدغ أن تذهب معها إلى مركز الشرطة؛ فهي تجهل اللغة الإسبانية ويجب أن تترجم لها.

- من أجل خاتمها ذي الياقوتة القرمزية، أليس كذلك؟ لقد رأيتُها تنزل إلى البحر وهو في إصبعها ثم خرجَت من دونه، فلا شك أنه سقط منها وهي تسبح.

- ولكنها تؤكد أنها تركَته على مائدة الزينة، وعندما عادت لم تجده!

- إنها واهمة أو كاذبة؛ فقد رأيتها بعينَيّ.

-٦-

كان السيد أندرو بننغتون الوصيّ الأمريكي على تركة لينيت ريدغواي يفضّ البريد الوارد إليه في مكتبه بنيويورك، وإذا بوجهه يكفهرّ ويدعو شريكه السيد روكفورد على عجل قائلاً له بعد أن اختليا معاً: خبر صاعق! لينيت تزوجت.

- كيف؟ ومتى؟ ولماذا لم تخبرنا؟!

- هذا الخطاب يقول إنها ستتزوج في اليوم الرابع من هذا الشهر، أيْ اليوم.

- ومن الذي ستتزوجه؟

- اسمه سيمون دويل.

- وأيّ رجل هو؟ وما مكانته بين الرجال؟

- لم تذكر أيّ تفصيلات عنه. ماذا نصنع الآن؟

- الباخرة نورماندي ستُبحر اليوم، ويجب أن تسافر عليها لتحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه.

- تقول إنها راحلة لقضاء شهر العسل في مصر.

- إذن اذهب إلى هناك وتظاهر بأنّك في رحلة للنزهة وأنك التقيت بها مصادفة هناك و... والباقي متروك لفطنتك.

وبعد تفكير قليل استقرّ الرأي على ذلك، خصوصاً أن لينيت تثق كثيراً بالعمّ أندرو بننغتون، الأمر الذي سوف يسهّل عليه توقيعها على ما يلزمه من الأوراق كي يسوّي الحسابات المختلفة؛ فزواجها يعني انتهاء وصايته على تركتها.

-٧-

مضت مدّة ليست بالطويلة وصلت بعدها رسالة من لينيت إلى محام إنكليزي شيخ كان يتولى بعض أمورها في إنكلترا، فاستدعىً المحامي ابن أخته الشابّ الذي يتمرّن في مكتبه ليُطلعه على الخطاب الذي ذكرَت فيه أنها أمضَت مع عريسها أسبوعاً في فندق مينا هاوس، ثم قامت برحلة إلى بِركة قارون في الفيوم، وسوف تركب الباخرة النيلية إلى الكرنك بعد يومين لزيارة الأقصر وأسوان، ثم تتوجه إلى وادي حلفا... ويستطرد الخطاب بعد ذلك قائلاً:

ولمّا ذهبنا اليوم لحجز التذاكر من مكتب شركة كوك إذا بي أفاجأ بالوصيّ الأمريكي على ثروة جدّي السيد أندرو بننغتون! ولم أكُن أعرف أنه في مصر، كما أنه كان يجهل وجودي بها ويجهل أنني تزوجت؛ فقد وصل خطابي بعد قيامه من نيويورك بيوم واحد، وسوف يذهب على نفس الباخرة النيلية في تلك الرحلة البديعة، فانظر إلى أعاجيب المصادفات!

أظهر المحامي الإنكليزي الشيخ ريبته في أن تكون المسألة مصادفة، وخشي من وجود تلاعب من جانب الوصيّ الأمريكي، فأمر ابن شقيقه الشابّ جيمس فانثورب بالسفر في ذلك اليوم نفسه إلى القاهرة بالطائرة وركوب الباخرة النيلية كي يرقب الحالة عن كثب دون أن يُظهر شخصيته للآنسة لينيت ريدغواي التي صارت السيدة لينيت دويل، وأوصاه أن يستعمل ذكاءه وأن يكون على حذر وألاَّ يدخر وسعاً في إحباط أيّة مؤامرة أو مكيدة.

-٨-

في مدينة القدس وفي إحدى حجرات فندق الملك داود كانت السيدة أوثربورن الروائية تضع على رأسها عمامة ضخمة وتقول لابنتها الجميلة روزالي: لماذا لا نذهب إلى مصر؟ لقد سئمت القدس.

- كما تشائين يا أمّاه.

- لقد عاملني أصحاب الفندق معاملة غير لائقة، ومجرد

وجود مؤلّفة مثلي بالفندق يُعَدّ دعاية له بلا شك، وعندما طلبت منهم -تلميحاً- أن يراعوا ذلك ليمنحوني تخفيضاً خاصّاً رفضوا بكل وقاحة.

- لا عليكِ يا أماه.

- لقد أخذتُ بثأري وصارحتُهم برأيي فيهم، فجاءني المدير هذا الصباح وقال لي بكل صفاقة إن جميع الحجرات محجوزة مقدَّماً وإنه يرجوني لأخلي حجرتنا في خلال يومين.

- إذن يجب أن نرحل إلى مكان آخَر.

- لا؛ فأنا مستعدّة للدفاع عن حقوقي.

- ولماذا نضايق أنفسنا بالبقاء؟ لماذا لا نذهب إلى مصر كما تريدين؟

-لا مانع، وإن كنتُ غير متشوقة إلى ذلك؛ فهذه الرحلة إلى مصر ليست أمراً ضرورياً تتوقف عليه الحياة.

-٩-

شكرَت السيدة الأمريكية روبنسون أختها العجوز العانس فان شويلر لأنها قررت اصطحاب ابنتها الشابّة اللطيفة كورنيليا في رحلتها إلى مصر، وبعد أن خرجَت السيدة روبنسون من الحجرة التقت بالآنسة بويرز الممرضة الملازمة للعانس فقالت لها: أظنك ستلازمين سيدتك في مصر، أليس كذلك؟

- بلى يا سيدتي، كما لازمتُها العام الماضي في باريس.

فرمقَتها السيدة روبنسون بنظرة ذات معنى وقالت: أرجو أن لا تحدث متاعب.

- أرجو هذا. سأكون متنبهة دائماً وعلى حذر، فلن يقع شيء يكدّر صفونا.

* * *

الفصل الثاني

-١-

كانت السيدة آلرتون جالسة مع ابنها تيم في مقعدَين من المقاعد القرمزية المصنوعة من القش في حديقة فندق كتراكت بمدينة أسوان، وكانا يراقبان شخصين: أحدهما رجل قصير القامة يرتدي بذلة من الحرير الأبيض، والآخر فتاة طويلة القامة نحيفة. قالت السيدة آلرتون لابنها: هذا الرجل هو هيركيول بوارو المخبر السري المشهور.

فاعتدل تيم في جلسته منتبهاً وقال بدهشة عظيمة: أهو هذا الرجل القصير المضحك؟!

- هو بعينه.

- وماذا يصنع هنا؟

- ولماذا تنزعج هكذا؟ على كل حال لستُ أظنه هنا لغير النزهة؛ فقد جمع من مهنته ثروة كبيرة.

- أراه لا يبخل على نفسه بصحبة أجمل فتاة في الفندق.

الواقع أن الفتاة كانت أطول من بوارو بثلاث بوصات وكانت مشيتها رشيقة وملامحها جميلة، ولكن تبدو عليها آيات الضيق والتجهّم. لقد كانت هذه الفتاة هي روزالي أوثربورن، وكانت تتحدث إلى بوارو عن تلك الرحلة النيلية إلى وادي حلفا وهما في طريقهما للتجول في شوارع المدينة وتفقّد متاجر الآثار. وفي طريق عودتهما وجدا زحاماً على الشاطئ، وذلك لوصول باخرة نيلية تُقلّ الركاب من القاهرة، فوقف بوارو وروزالي يشاهدان النزلاء الجدد الذين سيقيمون معهما في الفندق، فانتهز تيم آلرتون الفرصة وانضمّ إليهما ليتمتع بقرب الفتاة التي أُعجب بها منذ أن رآها، وإذا به يصيح بعد قليل: أقسم إن هذه هي لينيت ريدغواي!

لم يكترث بوارو لهذه العبارة، ولكن روزالي تحركَت لها فتخلت عن وجومها المألوف لتتأمل المليونيرة التي شغلت الأوساط الراقية في بريطانيا تلك السنة، في حين استطرد تيم آلرتون: هي هذه المرتدية ثياباً بيضاء، وهذا الرجل المديد القامة الذي بجوارها هو زوجها الجديد سيمون دويل.

- لقد كانت صورتها في جميع الصحف؛ فهي أغنى امرأة في إنكلترا.

- وبالإضافة إلى هذا فهي حسناء جداً!

- أجل، فالحظ يحابي بعض الناس فيمنحهم كل شيء.

* * *

كانت لينيت تعلم أن جميع الأنظار موجَّهة إليها؛ فكانت تهبط سلّم الباخرة في رشاقة وثقة بالنفس أشبه بثقة الممثلة القديرة وهي تتبختر على المسرح عند ارتفاع الستار في غير مبالاة بتلك الأنظار لأنها أصبحت شيئاً مألوفاً في حياتها، أما زوجها فكان يتحدث إليها بصوت خافت يفيض رقّة وعيناه تنطقان بالرعاية والهيام، فلمّا مرّا بجوار بوارو ورفيقَيه طرقت مسمعه نبرات سيمون، فقطب حاجبَيه وحدّق إلى الشاب، أما تيم آلرتون فقال: يا له من حظ عظيم! لقد ظفر بالمال والجمال.

فقالت روزالي بلهجة لا تخلو من الحسد: يبدوان في غاية السعادة. هذا كثير والله.

ولكنها قالت العبارة الأخيرة بصوت خافت حتى لا يسمعها تيم، لكن بوارو سمعها فقال لها بعد أن غادرها تيم ليلحق بوالدته: من يدريك أنهما سعيدان؟ لماذا لا تكون ضحية ثرائها؟

- ألم ترَ كيف يهيم بها؟

- بلى، رأيت؟ ولكنني رأيت شيئاً آخر أيضاً، رأيت خطوطاً سوداء تحت عينَي العروس، ورأيت يدها تقبض على مظلتها بقوة وعصبية حتى ابيضّت مفاصل أصابعها، ولا بدّ من وجود سرّ وراء هذا. ثم إني أعرف شيئاً آخر، أعرف ذلك الصوت فقد سمعته من قبل، أعني صوت السيد سيمون دويل، وإن كنت لا أذكر أين سمعته على وجه التحديد.

- قد يكون هذا صحيحاً، ولكنني مع هذا أشعر نحوها

بكراهية شديدة؛ فهي شديدة الثقة بنفسها كأنها ملكة تستطيع أن تحصل على كل شيء تشتهيه، في حين أنني... عفواً، أظن أنه ينبغي أن ألحق بوالدتي الآن فإنها متوعكة.

وكانا قد وصلا إلى البهو المعتم فتركته مسرعة وقد خجلت ممّا بدر منها من عواطف الغيرة والحسد، فاتجه السيد بوارو إلى شرفة الفندق المطلّة على النيل حيث بُسطَت موائد الشاي، ولكن الوقت لم يكُن قد حان، فوقف يتأمل النهر المتدفق لحظة، ثم اتجه إلى الحديقة فوجد فريقاً من النزلاء يلعبون كرة المضرب تحت أشعة الشمس الشديدة، فوقف يرقبهم قليلاً ثم شرع يمشي في الممرات بين الأشجار.

وعلى مقعد من تلك المقاعد الخشبية المواجهة للنيل وجد الفتاة التي رآها تلك الليلة وهو يتناول عشاءه في مطعم «آنتي» فعرفها على الفور، ولكنّ تعبير وجهها كان يختلف كل الاختلاف هذه المرة عن تعبيره ليلة المطعم؛ فهي اليوم شاحبة، وقد كانت يومها تمثالاً حيّاً للبهجة والحيوية.

تراجع بوارو قليلاً، ولم تكُن الفتاة قد رأته فراح يراقبها عن كثب على غرة منها، فرآها تدقّ الأرض بقدمها الصغيرة في صبر نافد، ورأى في الشرر الذي يندلع من عينيها ما يدلّ على العذاب والإصرار، ثم اكتملت الصورة في ذهنه؛ فقد ذكّره وجهها بصوت الشاب. لقد كان سيمون دويل زوج المليونيرة الحسناء لينيت هو ذلك الشابّ الذي كان بصحبة هذه الفتاة الوحيدة المعذَّبة جاكلين ليلة المطعم، وكان الذي لفت نظره تدلّهها في حبه.

في تلك اللحظة ترامت إلى مسمعه أصوات تقترب، فإذا بالفتاة الجالسة فوق المقعد تنهض واقفة على قدميها، ثم إذا بلينيت دويل وزوجها ينحدران إلى ذلك الموضع من الممشى، وكان صوت لينيت ينبّئ عن السعادة والثقة، فلمّا اقتربت رأى بوارو أن ذلك التوتر قد فارق عضلات وجهها وأن السعادة كانت تفيض من كل جارحة فيها، ثم تقدمَت الفتاة التي كانت جالسة نحوهما خطوتين، فإذا بالعروسين يجمُدان في مكانهما مأخوذَين. هتفت جاكلين دي بلفور: أهذه أنت يا لينيت؟! أظننا لن ننهي هذا اللقاء متفقتين على شيء، كما أظننا لن نلتقي بعد اليوم.

وبإيماءة من رأسها ودّعَتهما وابتعدت بين الأشجار فاتجه بوارو بخفّة إلى الناحية المقابلة، ولكن بعد أن سمع لينيت تقول: سيمون، ماذا نصنع بالله عليك؟

-٢-

انتهى العشاء، وكانت شرفة فندق كتراكت تسبح في ضوء ضعيف لطيف هادئ وقد جلس معظم النزلاء حول الموائد الصغيرة يستمتعون بنسمة المساء الدافئة، وفي تلك اللحظة أقبلَت لينيت دويل وزوجها بصحبة رجل طويل القامة وجيه المنظر أبيض الشعر حليق الذقن ينطق كل شيء فيه بالنمط الأمريكي لرجال الأعمال، ثم وقف الثلاثة بباب الشرفة مترددين، فقام إليهم تيم آلرتون وقال للينيت ببشاشة: لعلك لا تذكرينني. أنا ابن خالة جوانا ساوثوود.

- أجل، أجل. ما أغباني! أنت تيم آلرتون، هذا زوجي، وهذا هو الوصيّ الأمريكي على أملاكي السيد بننغتون.

- مرحباً، أعتقد أنكِ يجب أن تتعرفي بوالدتي.

وبعد دقائق كان الجميع يجلسون حول مائدة واحدة مع السيدة آلرتون، وتحرك الباب فالتفتت لينيت نحوه باهتمام، وإذا برجل قصير القامة يدخل منه ويخترق الشرفة، فابتسمت السيدة آلرتون وقالت: أنتِ لستِ الشخصية الوحيدة المشهورة هنا يا عزيزتي، فهذا الرجل القصير المضحك هو هيركيول بوارو.

وكانت السيدة آلرتون تقول لها هذا الكلام على سبيل التسلية التي تتصيد السيدات مناسباتها من هنا وهناك لقضاء الوقت، ولكن يبدو أن لينيت فوجئت بهذا النبأ واهتمّت له اهتماماً خاصّاً فقالت: هيركيول بوارو؟! لقد سمعت به طبعاً.

وشرد بصرها بعد ذلك حتى إن تيم وبننغتون وجدا صعوبة في مجاذبتها أطراف الحديث برهة غير قصيرة.

* * *

كان بوارو قد اخترق الشرفة حتى وصل إلى الحاجز، وإذا بصوت نسائي يسترعي انتباهه قائلاً: تفضّل بالجلوس يا سيد بوارو. هذا مساء جميل.

فصدع للأمر قائلاً بالفرنسية التي كان يمزجها بالإنكليزية: أجل يا سيدتي، هذه ليلة جميلة حقاً.

وابتسم تأدّباً للسيدة أوثربورن مؤلّفة الروايات التي كانت

ترتدي تلك العمامة السخيفة الملفتة للنظر فوق ثوب أسود أسخف منها، ثم استطردت: أرى المكان قد أصبح حافلاً بالشخصيات البارزة. أتوقّع أن نرى نبذة عن ذلك في الصحف عما قريب؛ فهناك حِسان المجتمع والمؤلفون المشهورون، والمؤلفات أيضاً.

وتوقفت لحظة لتطلق ضحكة تواضع مصطنَع، فشعر بوارو أن ابنتها التي كانت تجلس في مواجهته قد قطبت جبينها استنكاراً، ولكنه تعمّد أن لا يرفع عينيه إليها حتى لا يحرجها ويزيدها خجلاً، ثم قال للأم: هل تنتظرين رواية عمّا قريب يا سيدتي؟

قالها كأنه كان يسأل: "هل تنتظرين مولوداً جديدا؟"، ولكن المؤلّفة لم تتنبه إلى ذلك التهكم الخفيّ وانطلقت تقول: الواقع أنني أصبحت أستمتع بالكسل في المدّة الأخيرة، مع أنني يجب أن أُسرع وأجدّ في العمل؛ فجمهوري قد نفد صبره وناشري المسكين يستعجلني في كل بريد، وبالبرقيات أحياناً.

شعر بوارو أن الفتاة قد تجهمت مرة أخرى، أما الأم فمضت تقول: لا أُخفي عليك يا سيد بوارو، فأنا هنا في الوقت الحاضر لأستقي معاني جديدة ستظهر في روايتي الجديدة التي عنوانها «ثلج على وجه الصحراء»، وهو عنوان قوي ومثير يا سيد بوارو، ثلج على وجه الصحراء يذوب عندما تهبّ عليه أول نسمة لافحة من نسمات العاطفة الصادقة.

وعندئذ نهضت روزالي وغمغمت بكلمات غير مفهومة على سبيل الاعتذار، ثم انطلقت حتى اختفت في الحديقة المظلمة.

أما الأمّ فراحت تسوّي طيّات العمامة المتكررة بيديها وهي تقول: هل قرأت كتبي يا سيد بوارو؟

– للأسف لم أفعل يا سيدتي؛ فعملي لا يدع لي وقتاً كما تعلمين.

– إذن فلا بدّ أن أعطيك نسخة من روايتي «تحت شجرة التين». أنا واثقة كل الثقة أنك ستجدها ذات مغزى عظيم؛ فهي رواية واقعية.

– هذا لطف عظيم منك يا سيدتي. سأقرؤها بكل استمتاع.

– أظن أنه يجب أن أذهب لأحضر لك النسخة الآن.

– لا تجشّمي نفسك هذا العناء، يمكنك أن تحضريها فيما بعد.

– لا عناء على الإطلاق؛ فأنا متشوّقة أن أريك...

فارتفع صوت ابنتها تقول: إلى أين يا أماه؟

وكانت روزالي في تلك اللحظة قد عادت فوجدت أمها تهمّ بالنهوض وهي تقول: لا شيء يا عزيزتي، كنت ذاهبة لإحضار نسخة إلى السيد بوارو.

– من «شجرة التين»؟ سأحضرها أنا.

– سأذهب أنا؛ أنت لا تعرفين مكانها يا عزيزتي.

– بل أعرف.

وبسرعة فائقة انطلقت الفتاة إلى داخل الفندق. وأشار بوارو إلى أحد السقاة ثم سأل السيدة أوثربورن: هل لك في كأس من الشراب يا سيدتي؟

فهزّت رأسها بحدّة وقالت: لا؛ فأنا من أنصار تحريم الخمور، ولعلك لاحظت أنني لا أتناول شيئاً على المائدة سوى الماء أو عصير الليمون. ولكن لا بأس بكأس من عصير الليمون.

أما بوارو فطلب لنفسه كوباً من الكاكاو، وعندئذ أقبلَت روزالي وفي يدها الكتاب، فكتبَت عليه السيدة أوثربورن إهداء ثم أعطته إياه، فإذا على الغلاف الملون صورة لسيدة معقوصة الشعر على أحدث طراز وتحت الصورة مكتوب بخط واضح «بقلم سالومي أوثربورن»، فانحنى بوارو قائلاً: هذا شرف عظيم لي يا سيدتي.

وبينما هو يرفع رأسه من الانحناء التقت عيناه بعينَي ابنتها فقرأ فيهما الكثير من الألم، ثم أحضر الساقي الأشربة، وساد الصمت بين الثلاثة برهة طويلة وهم يحدّقون إلى الصخور السوداء البارزة في مجرى النيل.

* * *

تحرك الباب الكبير فجأة فاتجهت إليه الأنظار، وإذا بفتاة سمراء في ثوب سهرة أحمر قانٍ تظهر منه. وقفَت تتأمل الناس برهة ثم مشت بأناة إلى مائدة خالية، فقالت السيدة أوثربورن بحنق: يبدو أن تلك الفتاة تظنّ نفسها شيئاً ذا بال.

ولم يُجب بوارو لأنه كان مشغولاً بمراقبة الفتاة التي كانت تحملق بإصرار إلى لينيت دويل التي قامت لتجلس في الناحية الأخرى من المائدة، فغيّرَت الفتاة مقعدها كي تظلّ في مواجهة لينيت، وهزّ بوارو رأسه مراراً.

وبعد ربع ساعة نهضت لينيت دويل فجأة ودخلت الفندق فتبعها زوجها على الفور، أما جاكلين دي بلفور فابتسمت وأدارت مقعدها لتستقبل صفحة النيل، ثم أشعلت لفافة واستغرقت في تأمّل مياه النهر الصغير وهي تتدفق في بهجة ولطف.

-٣-

انصرف الجميع في تلك الليلة إلى حجرات النوم، أما بوارو فبقي وحده في الشرفة يستمتع بجمال الليل، وفيما هو منصرف بخواطره وأحلامه إلى الصخور الناعمة التي تبرز من مجرى النهر طرق سمعه صوت يقول: السيد بوارو؟

فانتبه وقام واقفاً على قدميه. لقد كان الصوت الذي ناداه يدلّ على تربية حسنة وثقة بالنفس وشيء من الكبرياء مع نعومة وعذوبة، والتقت عيناه بعيني لينيت دويل التي كانت ترتدي شالاً من القطيفة الثمينة الحمراء فوق ثوبها الحريري الناصع البياض، فبدت له عن قرب أجمل ممّا تصورها من قبل فقالت: هل أنت السيد هيركيول بوارو؟

- في خدمتك يا سيدتي.

- لعلك تعرف من أنا؟

- نعم يا سيدتي؛ فقد سمعت اسمك وأعرف من أنت.

- هلاّ توجهت معي إلى قاعة اللعب يا سيد بوارو؛ فأنا شديدة الرغبة في أن أتحدث إليك.

- في خدمتكِ يا سيدتي.

ذهبَت به إلى حجرة خالية من حجرات اللعب وحرصت على إغلاق الباب عليهما ثم جلسا إلى إحدى الموائد الصغيرة، فطرقت الموضوع بغير مقدمات قائلة: لقد سمعتُ عنك الكثير يا سيد بوارو وأعلم أنك رجل عظيم البراعة فائق القدرة، واتفقَ في الوقت الحاضر أن أكون بحاجّة ماسّة إلى شخص يُسدي إليّ يد العون، وأعتقد أنك ذلك الشخص بلا ريب.

- هذه رقة بالغة منك يا سيدتي، ولكنكِ ترين أنني في إجازة، وحينما أكون في إجازة لا أرتبط بعمل مطلقاً.

- هذه مسألة يمكن تدبيرها. الواقع أنني فريسةُ مطاردة لا تفتر يا سيد بوارو، ولا بدّ من وضع حدّ لها بأيّ ثمن. وقد كان من رأيي أن ألجأ إلى الشرطة ولكن زوجي يعتقد أن الشرطة لا سلطان لها في هذا الموضوع.

- ربما كان على صواب.

- سأشرح لك الموضوع بإجمال حتى تحكم بنفسك. كان زوجي قد خطب الآنسة جاكلين دي بلفور أقدم صديقاتي قبل أن ألتقي به، ثم فسخ خطبته لها؛ فهما لم يكونا منسجمَين، وقد أثّر هذا في نفسها للأسف الشديد، وأنا آسفة جدّاً لما

حدث لها، ولكن هذه أمور لا يد للإنسان فيها، وقد عمدَت إلى التهديد فلم أكترث لتهديداتها، لكنها في الحقيقة تحاول وضع تلك التهديدات موضع التنفيذ، وقد اتخذَت خطة غريبة جداً وهي ملاحقتنا أنا وزوجي أينما ذهبنا أو أقمنا.

فرفع بوارو حاجبَيه بدهشة وقال: الواقع أنه انتقام من نوع غير مألوف!

- أجل، غير مألوف وسخيف، ولكنه مزعج أيضاً.

- لقد قدّرتُ ذلك. أنتما في شهر العسل فيما أعتقد، أليس كذلك؟

- بلى، نحن في شهر العسل، وقد حدثَت المطاردة الأولى ونحن في البندقية، فقد التقينا هناك في مطعم دانييلي، واعتقدت أن المسألة محض مصادفة وإن كانت مصادفة محرجة، ثم إذا بنا نجدها معنا على ظهر السفينة عند إبحارنا من ميناء برنديزي، فاعتقدنا أنها ذاهبة إلى فلسطين، ثم نزلنا إلى الإسكندرية ونحن على اعتقاد أننا تركناها في السفينة، فإذا بنا حين وصلنا إلى فندق مينا هاوس بالجيزة نجدها جالسة على الشرفة في انتظارنا! وقد حضرنا إلى هنا بالباخرة النيلية، والواقع أنني كنت أتوقع أن أكتشف وجودها على تلك الباخرة، فلما لم أجدها ظننت أنها أقلعت عن هذه الحركات الصبيانية، ولكن ما إن وصلنا حتى وجدناها تكمن في هذا الفندق في انتظار وصولنا إليه.

- وأنت تخشين أن تستمر هذه الخطة، أليس كذلك؟

- بلى، أخشى أن تستمر، فالمسألة كلها لا معنى لها، وأعتقد أن جاكلين تزري بنفسها، ويدهشني أن يُعوِزها الاحترام والشعور بالكرامة إلى هذا الحد!

- توجد أوقات تتوارى فيها مشاعر الاحترام والوقار لتخلي السبيل لعواطف أقوى وأشد يا سيدتي.

- ربما، ولكن ماذا تأمل أن تكسب من وراء هذا كله بالله عليك؟

- ليست المسألة في جميع الأحوال مسألة مكسب وخسارة يا سيدتي.

- أنت على حق، ولكن مناقشة الدوافع خارجة عن نطاق بحثنا الآن، فالمقصود هو كيفية وضع حدّ لهذا الموقف.

- وكيف تظنين أن ذلك مستطاع؟

- لا ريب أنني لا أطيق أنا وزوجي أن نظل فريستين لهذه المضايقة المستمرة، فلا بدّ من وجود نوع من الإجراء المشروع ضد هذا السلوك.

- هل هدّدتك بكلمات صريحة علناً؟ هل سبّتكِ؟ هل حاولت الاعتداء عليكِ اعتداءً جسمانياً؟

- لا.

- إذن فلا مخرج لك يا سيدتي، فإذا كان يلذّ لسيدة شابّة أن تسافر بوسائل معيَّنة وهي هي الوسائل والأمكنة التي يروق

لك ولزوجك اختيارها فلا جُناح عليها؛ فالهواء مباح لجميع الناس، وهي لا تتطفل على خلوتك؛ فقد كان كل التقائها بك في الأماكن العامة.

- أتعني أنه لا فائدة من محاولة منعها عن مطاردتنا؟

- لا فائدة على الإطلاق فيما أرى؛ فالآنسة جاكلين دي بلفور تتصرف في حدود حقها المشروع.

- ولكن هذا شيء لا يُطاق.

- في استطاعتك أن تغادري المكان الذي لا تستريحين فيه.

- ولكنها ستتبعنا إلى المكان الجديد.

- من المحتمَل جداً؛ فلا يوجد ما يمنعها من ذلك.

- ولكن لماذا نهرب نحن منها؟

- هذا بالضبط هو جوهر الموضوع يا سيدتي، لماذا تهربين؟ وماذا يضايقك من وجودها؟

- لماذا؟! لقد أخبرتك بالقصة.

فتراجع بوارو في مقعده وعقد ذراعَيه فوق صدره وقال بهدوء: أعيريني سمعك يا سيدتي، فسأقصّ عليكِ قصّة صغيرة. منذ شهر أو شهرَين كنت أتعشى في مطعم بمدينة لندن، وكان إلى المائدة المجاورة رجل وفتاة، وكانا سعيدَين جداً ومتحابَّين ويتحدثان بثقة تامّة عن المستقبل، ولم أرَ وجه

الرجل لأن ظهره كان ناحيتي ولكنني كنت أرى وجه الفتاة. لقد كان وجهاً ناطقاً بأنها عاشقة بكل قلبها وروحها، فلم تكُن الفتاة من اللاتي يحببن حباً سطحياً يسيراً يبدلنه كلما غسلن وجوههن حين يستيقظن من النوم، بل كان واضحاً لعينَيّ أن الحب عندها هو الحياة أو هو الموت، وكانا مخطوبَين وكان حديثهما عن شهر العسل وكيف سيقضيانه في ربوع مصر.

ثم أخذ نفساً عميقاً قبل أن يستطرد قائلاً: وانقضى الشهران لم أرَ فيهما وجه الفتاة، ولكنني لن أنسى هذا الوجه ما حييت، وإن رأيته يوماً لا يمكنني إلا أن أتذكره وأتذكر صوت الرجل أيضاً. فأين تظنين أني رأيت وجه الفتاة وسمعت صوت الرجل بعد ذلك؟ هنا يا سيدتي، في مصر، وكان الرجل في شهر العسل. أجل، ولكنه عسل يشترك فيه مع امرأة أخرى.

- وماذا في ذلك؟ لقد ذكرتُ لك هذه الوقائع بنفسي.

- الوقائع، أجل.

- وبعد؟

- كانت الفتاة قد أشارت إلى صديقة لها ليلة المطعم، وكانت تؤكّد لخطيبها أن صديقتها لن تخذلها، وكانت هذه الصديقة هي أنت فيما أظن يا سيدتي.

- أجل، فقد ذكرتُ لك بنفسي أننا كنّا صديقتين.

- وكانت لها ثقة كبيرة فيكِ.

- أجل.

وظهر على لينيت التردد لأول مرة منذ بدء الحديث ثم قالت: لقد حالفها وحالف الموضوع كله سوء الطالع، ولكن هذه الأمور تقع كثيراً في الحياة يا سيد بوارو.

- أجل، تقع يا سيدتي؛ ولا بدّ أنك قد سمعت قصة الرجل الغني صاحب القطعان التي لا يحصيها العدد والرجل الفقير الذي لم يكُن يملك إلا نعجة واحدة، وكيف أنّ الغني اشتهى لنفسه نعجة الفقير ومدّ يده إليها... هذه أشياء تقع حقيقة يا سيدتي.

فاعتدلَت لينيت في جلستها وقد اتقدَت عيناها وهي تقول: أنت تعتقد أنني سرقت خطيب صديقتي وتنظر إلى المسألة من وجهة نظر عاطفية مثل أبناء زمنك، ولكن الحقيقة المجرَّدة خلاف ذلك تماماً. لستُ أنكر أن جاكلين كانت متيَّمة بحب سيمون، ولكن لا أظنك قدّرتَ أنه لم يكن متعلقاً بها كما تعلقَت به، فلما التقى بي سيمون أدرك أنه يحبني أنا لا جاكلين، فماذا يصنع؟ هل كان يصطنع البطولة ويتزوج امرأة لا يحبها فيحطم ثلاثة قلوب؟ ولو أنه كان متزوجاً بها فعلاً حين التقى بي لكنتُ وافقتك على أن واجبه أن يتمسك بها، وإن كانت المسألة مع ذلك فيها نظر؛ فإن شقاء أحد الزوجين يُشقي الزوج الآخر، فما بالك والخطبة ليست كالزواج؟ وليس للخطبة معنى إلا أنها فرصة يراجع فيها الطرفان نفسيهما حتى إذا تبين لهما خطؤهما أصلحاه قبل أن يفوت الأوان ويندما حين لا ينفع الندم، وأعترف أن زواجنا وقع على جاكلين وقعاً أليماً، وأنا آسفة كل الأسف. ولكن لا حيلة لي، فقد كان ما حدث أمراً مقضيّاً لا مفرّ منه.

- عجباً! ما تقولينه معقول ومنطقي جداً، ولكنه لا يفسّر لي مسلكك يا سيدتي، فمطاردتها تضايقك أو تثير في نفسك الرثاء لهذه المسكينة التي أفقدَتها الضربة اتزانها، ولكنك لم تشعري بالحرج ولا بالرثاء بل ثُرتِ وشعرت أن الموقف لا يُطاق، فلماذا؟ ليس لذلك إلا تعليل واحد، وهو الشعور بأنك مذنبة حقاً.

- كيف تجرؤ على ذلك؟!

- بل أجرؤ يا سيدتي ثم أجرؤ، وسأتحدث إليكِ بصراحة تامّة. الحقيقة التي تعلمينها ولا يمكن أن تخدعي نفسك عنها هي أنك اختلست خطيب صديقتك اختلاساً مدبَّراً متعمَّداً، وأعتقدُ أنك شعرتِ نحوه بانجذاب قوي من أول وهلة ولكنك ترددت، ثم اخترت طريقك بمحض إرادتك. وكان الاختيار بيديك أكثر مما كان بيدي السيد دويل؛ فأنت جميلة وغنية وذكية يا سيدتي، وقد استخدمت سحركِ حين كان في استطاعتك أن لا تستخدميه، فعمدت إلى أسره بفتنتك عمداً ومع سبق الإصرار. وكانت الدنيا أمامك واسعة تملكين الاختيار من بين مئات الشبّان، أما صديقتك فلم يكن لها إلا ذلك الرجل، وكنت تعلمين ذلك، وكان في استطاعتك أن تقبضي يديك ولكنك مددتِهما كما مدّ الرجل الغني يده إلى نعجة جاره الفقير.

ساد الصمت لحظة، ووجدت لينيت صعوبة في التغلّب على انفعالها إلى أن قالت بصوت خافت: كل هذا خارج عن الموضوع.

- لا، بل هذا هو لُبّ الموضوع؛ فهو تفسير انزعاجك الشديد كلما فوجئت برؤية الآنسة دي بلفور. أنتِ مقتنعة في أعماق سريرتك أنها على حق. لا تؤاخذيني على هذه الصراحة؛ فعلم النفس يعتمد على الوقائع المجرَّدة فقط.

- لنفرض أن ما تقوله صحيح (وإن كنت لا أعترف بذلك)، فما العمل يا سيد بوارو؟

- إن عقلك المرتَّب يفتيك بأنّ ما فات مات وأن ما كُتب قد كُتب، ولا بدّ من الاعتراف بالأمر الواقع، ولكن لا حيلة لك في تغيير الوضع إلا بالتجلد والصبر.

- ألا تتكرم بالتحدث إلى جاكلين؛ فلعلك تقنعها بالإقلاع عن هذه الخطة؟

- ربما فعلتُ ذلك، ولكن لا تنتظري له ثمرة ترضيك؛ فجاكلين فريسة لفكرة لن تتحول عنها فيما أعتقد.

- أتعتقد أنه لا فائدة إذن؟

- في استطاعتك أن تعودي مع زوجك إلى إنكلترا فتقيما في قصركما الريفي قصر وود.

- أظنها ستتبعنا إلى هناك وتقيم في القرية بحيث أراها كلما خرجت من أسوار الحديقة، ثم إنني لا أظن أن سيمون سيوافق على الهروب والتراجع.

- وما موقفه من كل هذا؟

- إنه غاضب وثائر جداً.

فهزّ بوارو رأسه شأن من يفكر فقالت لينيت برجاء: هل ستحدثها في الأمر؟

- نعم، سأحدثها، وإن كنتُ ضعيف الأمل في النجاح. هل لي أن أعرف شيئاً عن التهديدات التي هدّدَتكِ بها؟

- لقد هددت بقتلنا نحن الاثنين، أنا وسيمون.

فظهر الاهتمام على وجه بوارو وهز رأسه مليّاً، فقالت له لينيت بلهجة لا تخلو من الضراعة: هل تعمل لحسابي يا سيد بوارو؟

فقال لها بلهجة حازمة: لا يا سيدتي، أنا لا أقبل العمل لحسابك، وإن كنتُ سأفعل ما في وسعي بدافع من الشعور الإنساني، وسأبذل كل ما في جهدي لفضّ النزاع، ولكنني لست شديد التفاؤل وليس لديّ أمل قوي في النجاح.

* * *

الفصل الثالث

-١-

وجد هيركيول بوارو جاكلين دي بلفور جالسة فوق الصخور المطلّة على مجرى النيل، وكان واثقاً أنها لم تأوِ إلى فراشها بعد تلك الليلة، وقد صدقت فراسته. عندما اقترب منها وجدها تعتمد بذقنها على راحتَي يدَيها وهي تحدّق إلى المياه الجارية، ولم ترفع رأسها لتنظر من القادم، فوقف إلى جوارها ثم قال: أتسمح الآنسة دي بلفور أن أتحدث إليها لحظة؟

فرفعَت إليه بصرها وقد بدت على شفتيها ظلال ابتسامة باهتة ثم قالت: لا ريب، فأنت السيد هيركيول بوارو فيما أعتقد. ولكن هل تسمح لي بالتخمين في أمر صغير قبل أن تبدأ الحديث؟

- نعم.

- أنت تعمل لحساب السيدة دويل التي وعدتك بمكافأة ضخمة إن أنت نجحت في مهمتك التي كلفَتك بها.

فجلس بوار إلى جوارها وقال باسماً: تخمينك صائب في

جزء منه؛ فأنا قادم من اجتماع عُقد بيني وبين لينيت، ولكنني لم أقبل منها أيّ أتعاب لأنني رفضت أن أعمل لحسابها. هل سبق لك أن رأيتِني يا آنسة؟

- لا، لا أظن ذلك.

- أما أنا فسبق لي أن رأيتك حين كنتُ أجلس إلى المائدة المجاورة لمائدتك في مطعم «آنتي»، وكنتِ أنت ليلتها بصحبة سيمون دويل.

فبدا على وجهها تغيّر ثم قالت بصوت أجشّ: أجل، أذكر تلك الليلة.

- ومنذ تلك الليلة حدثت أمور كثيرة يا آنسة، وأنا أتحدث إليك الآن حديث الصديق لصديقه فأقول لكِ: ادفني الماضي؛ فإن ما فات مات.

- هذا حلّ يوافق لينيت ويريحها.

- لستُ أفكّر فيها الآن، بل فيكِ أنتِ؛ فقد تعذبتِ كثيراً، وأنا أدرك ذلك وأقدّره تمام التقدير، ولكن خطتك الحاضرة من شأنها أن تزيد عليك المتاعب.

- أنت واهم؛ فأنا أستمتع بانتقامي.

- إن عقلك جدير أن يدلَّك على الخير، فأنتِ في مقتبل العمر والحياة أمامك واسعة.

- أنت لا تعرف الحقيقة. سيمون هو حياتي كلها فلا

سبيل إلى التخلي عنه، وقد كنتُ أحب لينيت وأثق بها ولكنها خانتني في قلبي وتركَت حياتي فارغة، فلماذا أسمح لها أن تستولي عليه؟

ثم أخذت نفساً عميقاً قبل أن تستطرد قائلة: لا تصدق أنه تزوجها طمعاً في مالها، لا، ما كان ليفعل هذا، وإنما هو فتى يعشق الترف والوجاهة ويحب الظهور، والمال هو الوسيلة إلى هذا كله. كما أن الجوّ الذي يحيط بلينيت جوّ ساحر لأنه يشبه الجوّ الذي يحيط بالملكات المتوَّجات، وقد غرّه أن يرى المرأة التي تترامى بريطانيا تحت قدمَيها تترك كل هذا لتختاره. لقد كنتُ أنا القمر وكانت هي الشمس، فلمّا أشرقَت الشمس لم يعُد للقمر أثر.

وبحركة سريعة أدخلت يدها في حقيبة حريرية فأخرجت مسدساً صغيراً مرصَّعاً باللآلئ وقالت: هذا يبدو شيئاً جميلاً لطيفاً، ولكن ثق أن رصاصة واحدة من رصاصاته الصغيرة تكفي لقتل رجل أو امرأة. بالمناسبة، أنا بارعة في إصابة الهدف؛ فعندما كنتُ طفلة أمرح في كنف والدتي في ولاية كارولينا الجنوبية كان جدي لوالدتي يعلّمني الرماية لأنه كان من رجال المدرسة القديمة الذين يؤمنون بلغة الرصاص في غسل الإهانات، وكذلك كان أبي، فقد اشترك في مبارزات كثيرة وهو شابّ، وكان من أبرع اللاعبين بالسيف.

وركّزت عينيها في عينيه ثم استطردت: ها أنت ذا يا سيد بوارو ترى أن الدماء الحارّة تجري في شراييني، وقد اشتريتُ هذا المسدس عندما اكتشفتُ الحقيقة وكان في نيّتي أن أقتل

أحدهما، ولكن كان المانع الوحيد هو أنني كنت مترددة أيّهما أقتل. وكنت أعلم أن لينيت ستفزع من التهديد ولكنها كانت تتمتع بشجاعة كبيرة في الحقيقة، ثم خطر لي أن أُطيل عذابهما بملاحقتهما أينما ذهبا، فهي لا تملك الشجاعة الأدبية رغم شجاعتها المادية، وظهوري لها أينما اختليا في مكان سحيق كاف لإفساد صفو السعادة عليها. وقد نجحتُ في هذه الخطة وبدأتُ أتلذذ بطعم الانتقام، وهي لا تستطيع أن تأخذ عليّ شيئاً لأنني أثيرها دائماً بفرط أدبي ولياقتي ومجاملتي. هذا هو السمّ في العسل.

فقبض بوارو على ذراعيها وقال لها بحدّة: أرجوك يا آنسة أن لا تستمري في هذه الخطة وأن لا تفتحي قلبك للشر، فأنت إن فعلت لبّى الشر دعوتك ودخل قلبك، وإذا دخل الشر قلباً فلن يفارقه بعد ذلك أبداً. أوقفي نفسك، فلا أحد -حتى أنا- يستطيع أن يوقفكِ.

- لن تستطيع أن توقفني، حتى لو كنتُ مقدمة على قتلها.

- أجل، ما دمتِ على استعداد لدفع الثمن.

فأطلقت ضحكة عالية وقالت: لستُ أخشى الموت، فماذا لديّ حتى أعيش له؟ أم تُراك من الذين يؤمنون بخطأ القتل انتقاماً من شخص سلبك كل ما لك في الحياة؟

- نعم يا آنسة، أعتقد أن القتل جريمة لا تُغتفر.

فضحكت جاكلين وقالت: إذن ينبغي أن تُقرّ وسيلتي الحالية في الانتقام؛ فأنا لا ألجأ إلى المسدس ما دامت هذه الوسيلة

تؤتي ثمارها. ولكنني لا أخفي عنك أنني أخاف من نفسي أحياناً حين تثور الدماء في عروقي وتطغى عليّ رغبة جبارة في إيذائها. هذه الرغبة هي أنني أريد أضع هذا المسدس، بل أغرسه غرساً في رأسها، ثم أضغط بإصبعي على الزناد لينتهي كل شيء.

وفجأة تغيّر صوتها وصاحت كالمذعورة: آه!

- ماذا يا آنسة؟

وكانت قد أدارت رأسها وراحت تحدق في الظلام وتقول: شخص ما كان يقف هناك في الظلام بين الأشجار وقد انصرف الآن.

فتلفّت بوارو فلم ترَ عيناه شيئاً!

-٢-

في الصباح التالي وحينما كان بوارو خارجاً من الفندق ليتمشى في المدينة لحق به سيمون دويل واستأذنه في أن يمشي معه، فلمّا دخلا الحديقة الظليلة أخرج سيمون غليونه من فمه وقال مفتتحاً الحديث: لقد علمتُ أن زوجتي تحدثَت معك بالأمس يا سيد بوارو، وقد سرّني أنك بيّنتَ لها أنه لا حيلة لنا في تغيير الوضع القائم؛ فهذه وجهة نظري.

- لا يوجد إجراء قانوني مناسب.

- بالضبط، ولكن يبدو أن لينيت لم تكن تدرك هذه الحقيقة؛ فقد نشأت على أنّ كل شيء في الحياة يجب أن

يسير وفق هواها وأنّ كل شيء يجب أن يتلاشى بمجرد إبلاغ الشرطة. لكن العجيب أن يظن الناس بلينيت الظنون في مسألة زواجنا، فإن كان يوجد ذنب فهو ذنبي، وإذا فسّر الناس موقفي بأنه نذالة فذلك رأيهم.

طأطأ بوارو رأسه ولم ينطق فاستطرد سيمون قائلاً: هل تحدثتَ إلى الآنسة بلفور؟

- نعم.

- وهل وصلتَ إلى شيء؟

- أظن أنني لم أستطع.

- ألم تتبيّن أنها تُسيء إلى نفسها وتحطّ من قدرها بذلك المسلك الذي ينافي الآداب والكرامة واحترام الذات؟

- هكذا الانتقام دائماً.

- الواقع أنها أتلفَت أعصاب لينيت، فكم أتمنى أن أدق عنقها!

- هل تبخّر كل ما بداخلك من حب لها إذن؟

- يا عزيزي بوارو، لستُ أجد تشبيهاً يصوّر لك الموقف سوى تشبيه القمر والشمس، فأنت عندما تنظر إلى الشمس لا يمكن أن تشعر بوجود القمر، وكذلك بمجرد أن التقيت بلينيت تلاشت جاكلين من الوجود، بالنسبة لي على الأقل.

- تشبيهك يثير اهتمامي أيها السيد.

- ويجمل بي أن أقول لك -وهي الحقيقة- إن جاكلين كانت تحبني أكثر مما يجب، فقد كانت تشعر أنها تمتلكني امتلاكاً تامّاً. والحقيقة أنه ما من رجل يحب أن يشعر أنه مملوك أو يستريح إلى ذلك يا سيد بوارو، ولهذا أردت أن أتحرر...

خانه صوته فتوقف عن الكلام، وكانت أصابعه ترتعد وهو يشعل غليونه فسأله بوارو: أتدري أنها تحمل مسدساً؟

- لا أعتقد أنها ستستخدمه؛ فلو كانت تنوي ذلك لأقدمَت على استخدامه من قبل، أعني قبل أن يتمّ الزواج، ولكنني أعتقد أنها تريد أن تزعجنا وأن تسمم سعادتنا.

- ربما كنتَ على حقّ.

- كل ما أخاف عليه هو أعصاب لينيت لا حياتها، وإليك الخطة التي فكّرتُ فيها، فربما كان لديك مشورة أو تعديلات أُدخلها عليها قبل أن أضعها موضع التنفيذ. لقد أعلنتُ بصوت مسموع أننا ننوي البقاء هنا عشرة أيام أخرى، ولكن الواقع أن الباخرة «الكرنك» ستقوم غداً من الشلاّل إلى وادي حلفا، وقد اعتزمتُ أن أحجز لنا مكانين باسم مستعار، وفي صباح الغد سأذهب مع لينيت إلى جزيرة فيلة، وفي هذه الأثناء ستمضي وصيفة لينيت بحقائبنا إلى الباخرة، ثم نلحق نحن بالباخرة في الشلاّل، فعندما تتبين جاكلين أننا لم نعُد من الجزيرة ستكون الباخرة الكرنك قد أقلعَت، وفي نيّتنا أن نتوجه من هناك إلى الخرطوم، وبعد ذلك إلى بلاد أخرى لن تهتدي إليها لأننا سنسافر باسم مستعار، فلن يفيدنا شيئاً الرجوع إلى مكاتب السياحة وسجلاّتها.

- لا تنسَ يا سيد دويل أن مقدرتها المالية محدودة، ولكنني أعجب كيف استطاعت أن تلاحقكما حتى الآن!

فبدا التردد على وجه سيمون ثم قال: أعتقد أنها تملك رَيعاً تحصل منه سنوياً على يقرب من مئتَي جنيه، ويخيَّل إليّ أنها باعت ذلك الرَّيع بمبلغ كبير كي تنفق على هذه الرحلات باهظة التكاليف، ولذلك لا يبعد أن تنفد مواردها بعد حين فتكفّ عن ملاحقتنا مرغمة.

- خطتك تبدو مُحكَمة، ولكن تذكّر أن جاكلين ذكية وليس من السهل مراوغتها، وأنا شخصياً مشترك في رحلة الكرنك إلى وادي حلفا.

- ما أبدع هذا!

- ومَن الشخص الطويل، ذلك الأمريكي الوجيه؟

- أتعني السيد بننغتون؟ هذا هو الوصيّ الأمريكي على تركة لينيت، وهي مصادفة مزعجة أن يكون معنا في رحلة شهر العسل، ولكنها مجرَّد مصادفة.

- حقاً؟ أتسمح لي بسؤال؟ هل بلغَت زوجتك سن الرشد؟

- لم تبلُغه بعد، وقد كان زواجها مفاجأة حقيقية للسيد بننغتون الذي غادر نيويورك بالباخرة كارمانيك قبل وصول خطاب لينيت الذي يخبره بزواجها بيومين، ولهذا كان خالي الذهن تماماً عندما التقى بنا.

- يا لها من مصادفة حقاً!

- وقد عجبنا أيضاً عندما وجدناه مشتركاً في الرحلة النيلية إلى أسوان ثم إلى وادي حلفا، ولكن صحبته لم تخلُ من الفائدة، فأعصاب لينيت كانت متوترة لتوقّعها أن ترى جاكلين في أية لحظة، حتى كانت جاكلين هي موضوع حديثنا الوحيد في خلوتنا معاً، أما مع وجود طرف ثالث هو بننغتون فالموضوع يظلّ بعيداً عن ذهننا.

- أتسمح لي بسؤال آخر؟ أكانت رحلة شهر العسل في مصر من اقتراحك أنت؟

فاحمرّ وجه سيمون وقال: الحقيقة أنني كنت أفضّل التوجه إلى أيّ مكان آخر، ولكن لينيت أصرّت، وإزاء ذلك...

ثمّ لم يُتمّ جملته وظهر عليه الارتباك، فهزّ بوارو رأسه لأنه أدرك أن لينيت دويل هي صاحبة الكلمة العليا، وما دامت تريد شيئاً فلا بدّ لزوجها من الإذعان، وقال هيركيول بوارو في نفسه: لقد سمعتُ الآن ثلاث روايات متفرقة عن الموضوع: الأولى بلسان لينيت دويل، والثانية بلسان جاكلين دي بلفور، والثالثة بلسان سيمون دويل، فأي الروايات أصدق؟

-٣-

في الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي ركب سيمون ولينيت القارب الشراعي الجميل من مرسى فندق كتراكت إلى جزيرة فيلة لزيارة معبد بطليموس المشهور، وكانت جاكلين دي بلفور جالسة في شرفة الفندق ترقب إقلاعهما، ولكن الذي

لم يتيسر لها رؤيته هو قيام السيارة من الباب الأمامي للفندق محمَّلة بحقائب العروسَين، ومع الحقائب الخادمة الفرنسية لويز بورجيه وصيفة لينيت الخاصّة، وقد اتجهت السيارة إلى اليمين متجهة نحو الشلاّل.

كان هيركيول بوارو قد اعتزم أن يُمضي الساعتين الباقيتين قبل قيام الباخرة الكرنك في تفقد الجزيرة المواجهة للفندق، وعندما ركب قارباً من قوارب الفندق البيضاء وجد فيه رجلين أحدهما شاب وصل في اليوم السابق بالقطار، وهو طويل القامة أسود الشعر بارز الذقن نحيل الوجه يرتدي بنطالاً رمادياً من أقذر ما رأته العين وقميصاً ممزَّقاً، أما الرجل الآخر فكان كهلاً أنيقاً لم يُضِع الوقت سدى في القارب، بل شرع يتحدث مع بوارو بإنكليزية ركيكة في حين انصرف الشابّ عنهما واهتم بمراقبة المحار.

ولما رسا القارب أمام الجزيرة اتجه بوارو وصاحبه إلى متحفها مباشرة، ثم أبرز الرجل الكهل بطاقة قدمها إلى بوارو مكتوب فيها: «السيد جونيور ريشتي. أثري». فقدّم إليه بوارو بطاقته وبذلك تمّ التعارف. ثم انتقل الحديث من الإنكليزية إلى الفرنسية، وكان الإيطالي شديد الاهتمام بالأطلال والتحف، أما الشابّ فلم يُطِق البقاء داخل المتحف فخرج إلى الهواء الطلق، أما بوارو فلمح مكاناً ظليلاً بعد قليل بجانب صخرة فاتجه إليه، وإذا به يجد السيدة آلرتون جالسة هناك وبين يديها كراسة رسم، وقد كان معجَباً بها كثيراً؛ فجلس يجاذبها أطراف الحديث، ثم علم منها أنها مشتركة وولدها تيم في

الرحلة النيلية، وقد دعته إلى مشاركتهما مائدة الطعام في أثناء الرحلة فقبل مسروراً.

وبعد قليل نهضا إلى القارب ليعودا إلى الفندق، فإذا بالشابّ القذر الثياب مشتبكاً مع الإيطالي في مناقشة حادّة حول قيمة الآثار المصرية وغير المصرية أيضاً، وقد ظهر من ذلك الحديث بوضوح أن الفتى يُدعى فيرغيسون وأنه يساريّ متطرف لا يؤمن بالتاريخ ولا بالماضي ولا بالفنون، وإنما كل همه أن تمتلئ كل البطون وعلى الدنيا العفاء بعد ذلك.

لقد استمرت تلك المناقشة إلى أن وصل القارب إلى الفندق، وفي البهو التقى بوارو بجاكلين دي بلفور وكانت مرتدية ثياب الركوب، فانحنت في شيء من السخرية انحناءة يسيرة وقالت: أنا ذاهبة لركوب الحمير، فهل تشير عليّ بزيارة القرى المجاورة يا سيد بوارو؟

- ولمَ لا؟ فهي ذات مناظر جميلة.

ثم أسرعت خارجة. أمّا هو فاتجه إلى حجرته حيث أتمّ حزم حقائبه، ثم هبط إلى قاعة الطعام حيث تناول وجبة الغداء.

بعد ذلك تولّت سيارة الفندق نقل المشتركين في رحلة وادي حلفا إلى محطة السكة الحديدية كي يلحقوا بقطار الساعة الثانية القادم من القاهرة ليقلّهم إلى محطة الشلاّل، وهي مسافة يقطعها القطار السريع في عشر دقائق. أما السيدة أوثربورن وابنتها روزالي فكانتا قد رحلتا منذ الصباح إلى

الخزّان وجزيرة فيلة، وقد اعتزمتا أن تتجها من هناك مباشرة إلى الشلاّل.

* * *

تأخّر وصول القطار نحو عشرين دقيقة كما هي العادة. وحين وصل ركب بوارو عربة مع السيدة آلرتون وابنها والعانس الأمريكية فان شويلر، وهي عجوز متغضّنة الوجه متزينة بقنطار من الجواهر الثمينة ترتدي ثياب القرن الماضي ذات الياقة العالية المُنشّاة، وكانت تنظر من قمة ياقتها الصلبة إلى الناس كافة نظرات الامتعاض والاستعلاء. وكانت أمامها امرأة دون الثلاثين ممتلئة خضراء العينين تنظر إليها كما ينظر الكلب الوديع الذكي الحسن النشأة، وكانت العجوز قد حملت مجلة أمريكية تُخفي بها وجهها ولكنها كانت تطل من ورائها بين دقيقة وأخرى لتلقي إلى مرافقتها أمراً لا لزوم له في الواقع، وكانت تناديها باسم كورنيليا.

وبعد عشر دقائق وصل القطار إلى مرسى الباخرة النيلية «الكرنك»، وكانت السيدة أوثربورن وابنتها موجودتين على ظهرها، فركب سائر المسافرين ودلّهم الخدم على أماكنهم ومقصوراتهم.

* * *

كانت مقدّمة السطح العلوي للباخرة عبارة عن قاعة للمراقبة جدرانها كلها من الزجاج يستطيع الركاب الجالسون فيها أن يشاهدوا انسياب النهر أمام أعينهم، وفي السطح

السفلي كانت توجد حجرة التدخين وقاعة صغيرة للاستقبال والجلوس وأسفلها قاعة الموائد.

وبعدما رتّب بوارو حقائبه في مقصورته صعد إلى السطح العلوي ليشاهد إقلاع الباخرة، حيث وقف إلى جوار روزالي أوثربورن التي كانت متكئة على الحاجز الحديدي، وكان الضيق الشديد ظاهراً على وجهها، وفجأة لمعت عيناها وقالت: عجباً! هذه هي السيدة لينيت دويل وزوجها! لم يخطر لي مطلقاً أنهما قادمان معنا في هذه الرحلة؛ فقد صرّحا بأنهما باقيان في أسوان.

في تلك اللحظة كانت لينيت قد برزت من باطن السفينة ومن ورائها زوجها، وكان وجهها يفيض بالبِشر والسعادة، وأيضاً كان سيمون يضحك ملء شدقيه كأنه تلميذ أبله أفلت من سور المدرسة.

وقف الزوجان ينظران إلى مراسي الباخرة وهي تُرفع ثم إلى زبد الماء الذي أثارته محركاتها وقد بدأت في الدوران فهمس سيمون في أذن زوجته: ها نحن أخيراً قد ابتعدنا يا لينيت.

وإذا بصوت ضحكة ناعمة فضّيّة النغمات ترتفع من خلفهما، فالتفتت لينيت بسرعة لترى نفسها وجهاً لوجه أمام جاكلين دي بلفور التي بادرَتها بقولها: مرحباً لينيت. لم أكن أقدّر أني سأجدك هنا؛ فقد خُيّل إليّ أنني سمعتك تقولين إنك باقية في أسوان عشرة أيام أخرى، فيا لها من مفاجأة حقاً!

- وأنا لم أكن أتوقع أن أراكِ أيضاً.

- حقاً؟

ثم ابتعدت جاكلين إلى الجانب الآخر من الباخرة في حين تعلقت لينيت بذراع زوجها في عصبية ظاهرة، أمّا هو فوقف محملقاً وقد تقلصَت أصابعه كمن يبذل جهداً عنيفاً في مغالبة غضبه.

بعد بضع ساعات كان بوارو في قاعة المراقبة يتأمّل مناظر بلاد النوبة في حين دخلَت لينيت دويل فوقفت بجواره وهي تثني أصابعها وتبسطها في اضطراب شديد، ثم قالت بلهجة الطفل الضالّ المشدوه: سيد بوارو، أنا خائفة، خائفة من كل شيء. لم أشعر بمثل هذا الشعور من قبل قطّ، كما أنّ هذه الصخور القاحلة من حولنا تزيد نفسي انقباضاً ووحشة. إلى أين نحن مَسوقون؟ أنا خائفة؛ فكل إنسان هنا يكرهني، الجميع يكرهونني ما عدا سيمون. ما أفظع هذا!

- ماذا حدث يا سيدتي؟

- عفواً، أظنه انهياراً عصبياً؛ فأنا أشعر أن كلّ ما حولي مخيف! تُرى ما نهاية كل هذا؟ نحن هنا في فخّ ولا مخرج لنا. أنا لم أعد أعرف أين أنا ولا إلى أين أنا ذاهبة!

ثم ارتمت فوق مقعد، وظل بوارو واقفاً ينظر إليها نظرة لا تخلو من رثاء وإشفاق، ولما التقطَت أنفاسها قالت: تُرى كيف عرفَت أننا مسافران بهذه السفينة؟ كيف أمكنها أن تعرف؟!

- إن لها عقلاً ذكياً كما تعلمين.

- أشعر أنني لن أفلت من يدها.

- كان أمامك حلّ، ولستُ أدري لماذا لم يخطر ببالك! المال ليس هو العقبة التي تقف في طريقك يا سيدتي.

- ماذا تعني؟

- لماذا لم تستأجري قارباً خاصاً لاستعمالكما الشخصي؟

- أنت لا تعلم كل ظروفي يا سيد بوارو، فسيمون مرهف الحسّ شديد التمسك بالتقاليد؛ لذلك كان مصمماً على أن يتحمل نفقات شهر العسل، وقد كان مجرَّد الإشارة إلى القارب الخاص كافياً لإثارة أعصابه من هذه الناحية الحساسة، فاضطُررت إلى ملاينته ريثما يتسنّى لي تكييفه تدريجياً.

ساد الصمت لحظة، وكأنها شعرت بالخجل من اندفاعها في ساعة ضعف فاستأذنت في الانصراف لتبديل ملابسها.

* * *

جلس بوارو إلى مائدة العشاء مع السيدة آلرتون ذات الشخصية الآسرة ونجلها تيم، ولم يخفَ على بوارو أن الشابّ لم يكن مستريحاً لوجوده معهما، ثم جاء الساقي بكوب من القهوة لبوارو، أما السيدة آلرتون فشربت ماء معدنياً في حين تناول تيم كأساً من عصير البرتقال، وأدرك بوارو من الحديث أن هذه الأسرة من تلك الأسر النبيلة العريقة التي أبت أن تساير الانقلاب الديني في عهد هنري الثامن.

في تلك الليلة أحس بوارو برغبة شديدة في النوم فانصرف

إلى مقصورته مبكّراً، وبينما هو على وشك الإغفاء ترامى إلى سمعه صوت سيمون دويل في الممر يقول لمن يحدثها: لا بدّ من المضي في الطريق إلى النهاية.

* * *

في الصباح الباكر وصلت الباخرة إلى مرحلتها الأولى، فكانت كورنيليا روبسون أول من نزل إلى الشاطئ مبتهجة الوجه وفوق رأسها قبعتها العريضة، فلمّا أبصرَت بوارو في بدلته الحريرية البيضاء وقميصه الأحمر ورابطة عنقه السوداء على طريقة الفنّانين حيّته ببشاشة ثم سارت معه قاصدَين زيارة المعبد، فوجدا أمامهما في الطريق روزالي أوثربورن تسير منفردة عابسة، ثم التقى الثلاثة بعد ذلك بالطبيب بسنر النمساوي وقد أمسك في يده نسخة ألمانية من دليل السياحة ليستدل منه على آثار المنطقة، وعن كثب كانت السيدة آلرتون تتحدث إلى جيمس فانثورب، أما بننغتون الوصيّ الأمريكي فكان يتأبّط ذراع لينيت دويل، وكان الجميع يُصغون بانتباه شديد إلى الشروح التي يلقيها عليهم المرشد السياحي عن تمثال رمسيس الضخم.

عادت الجماعة إلى السفينة بعد جولة قصيرة فاستأنفت مسيرها، وقد تبدّلَت الصخور المقفرة على الشاطئين وحلّت محلّها أشجار النخيل والزراعة المتناثرة، فساعد ذلك على اختفاء الوجوم من وجوه كانت منقبضة، ولا سيما وجهَي روزالي ولينيت، فانتهز بننغتون الفرصة قائلاً للينيت: ربما كان مما ينافي الذوق أن يتحدث المرء في شؤون الأعمال إلى

السيدة في شهر العسل، ولكن يوجد بعض المسائل.

- لا عليك يا عمّي أندرو، فزواجي المفاجئ ترتب عليه أمور عاجلة تستدعي البَتّ بطبيعة الحال.

- هذه هي الحقيقة بالفعل، وربما احتجت في وقت ما إلى توقيعك على بعض الأوراق لأن توقيعي لم تعُد له قيمة.

- ولماذا لا يكون هذا الوقت الآن؟

تلفّت بننغتون فوجد أن ركن قاعة المراقبة الذي يجلسان فيه خال لوجود معظم الركاب على ظهر السفينة، وفي ذلك الوقت لم يكُن في القاعة إلا اليساري المتطرف فيرغيسون، وكان جالساً إلى مائدة منعزلة واضعاً ساقَيه على مقعد آخر ويطلق صفيراً بفمه، وكان هناك أيضاً بوارو ينظر من خلال الزجاج الأمامي إلى المنظر المترامي الآفاق، والعانس فان شويلر التي كانت جالسة في الركن تقرأ كتاباً عن مصر.

وجد بننغتون المكان مناسباً فتركها ومضى ليحضر الأوراق من مقصورته، ثم عاد بعد لحظات وفي يده ملف من الأوراق المكتظة بالكتابة الدقيقة، فصاحت لينيت عندما رأتها: رباه! هل سأوقّع على جميع هذه الأوراق؟!

- هذا مزعج طبعاً، ولكنني أحب أن تكون أعمالك مستوفاة، فأولاً هذا إيجار عمارة الشارع الخامس في نيويورك، وهذه عقود الأراضي الغربية...

وأخذ يرتّب الأوراق حسب أنواعها في حين أخذ سيمون

يتثاءب، وعندئذ دخل السيد فانثورب قاعة الاستقبال ثم تلفّت حوله فاختار الوقوف إلى جوار بوارو لمشاهدة المياه الزرقاء الباهتة ورمال الشاطئ الصفراء، وأشار بننغتون إلى موضع خالٍ في الأوراق وقال: وقّعي بإمضائك هنا.

فتناولَت لينيت الوثيقة وراحت تجري بعينيها بين سطورها، ثم قلبتها وراحت تقرأ من أول الصفحة الأولى، وبعد ذلك تناولت القلم ووقّعت بإمضائها، فتناول بننغتون الوثيقة وقدّم لها غيرها، وعندئذ اتجه جيمس فانثورب نحوهم، فيبدو أن الشاطئ الذي كان إلى جهتهم كانت رماله ذات سحر خاصّ استرعى التفاته. وقال بننغتون: هذا مجرَّد عقد إيجار لا لزوم لقراءة جميع تفصيلاته.

ولكن لينيت ألقت عليه نظرة وراحت تقرأ بعناية فقال: هذا حشو من المصطلحات القانونية، فلا تتعبي رأسك يا ابنتي في قراءته وإلاّ استغرق ذلك وقتك حتى موعد الغداء.

– أنا دائماً أقرأ كل شيء بعناية، فقد علّمني أبي ذلك وكان يقول دائماً إنه ليس من المستحيل وجود خطأ كتابي، أليس هذا جائزاً؟

فضحك بننغتون ضحكة مغتصَبة، وقال سيمون: أنا لا صبر لي على قراءة شيء؛ فأنا أثق بطبعي بجميع الناس، ومن عادتي أن أوقّع دائماً حيث يشيرون.

فرمقه بننغتون بنظرة فاحصة في كثير من التأمل فقال: هكذا خُلقتُ، ولم يحدث أن غرر بي أحد.

وفي تلك اللحظة حدث ما أدهش الجميع؛ فقد استدار جيمس فانثورب على عقبَيه ووجه حديثه إلى لينيت التي لم يعرّفه بها أحد فقال: أرجو أن لا أكون متطفلاً، ولكن اسمحي لي أن أُطري كفاءتك في إدارة الأعمال؛ فقد صادفت في عملي كمحامٍ سيدات لا يقدّرن مسؤوليات الأعمال. إن ما تصنعينه خير، فلا توقّعي على وثيقة إلا بعد قراءتها قراءة دقيقة.

ثم انحنى لها وقد احمرّ وجهه خجلاً، فقاومت لينيت الضحك ثم قالت له: شكراً لك.

أما بننغتون فقد تضايق في حين ابتسم سيمون ثم قالت لينيت وهي تبتسم لبننغتون: الوثيقة التالية من فضلك.

- يحسن أن تُرجئي الباقي إلى وقت آخر فقد اقتربت ساعة الغداء، كما أن بقية الأوراق ليست عاجلة.

- ليكن. والآن هيا بنا إلى السطح فالحَرّ هنا شديد.

ثم خرج الثلاثة، أمّا بوارو فقد ظلّ يحدّق إلى ظهر فانثورب، ولفت نظره شدة احمرار أذنَيه بسبب اندفاع دماء الخجل إليهما. ثم حوّل بصره إلى العانس فان شويلر فوجدها تكاد تلتهم فيرغيسون بنظراتها المفترسة لأنه كان يصفّر كما يفعل السوقة. وفي تلك اللحظة دخلَت كورنيليا فإذا بخالتها توبّخها توبيخاً شائناً لأنها غابت عن عينيها، وراحت تذكّرها بأنها اصطحبَتها على نفقتها فيجب أن تحظى منها بالعناية والاعتبار على الأقل، ثم طلبت وضع كرسي لها على السطح كي تستنشق الهواء. وكذلك آثر بوارو أن يخرج إلى الهواء

الطلق، ثم راح يتمشى عند مؤخرة السفينة، وإذا به يكاد يصطدم بشابّة سمراء لاتينية الملامح كانت واقفة تتحدث إلى شخص يرتدي زيّ المهندسين البحريين، فلما أبصراه ظهر عليهما الارتباك بدرجة لفتت نظر بوارو.

* * *

في صباح يوم الإثنين رست «الكرنك» أمام معبد نُحت في الصخر (في وجه الجبل)، وقد نُحتت حوله في صخور الشاطئ الجبلي أربعة تماثيل ضخمة.

كانت البشاشة تعلو وجوه الجميع في ذلك اليوم وقد نزلوا جميعاً لزيارة ذلك الهيكل العظيم (وهو المعروف باسم معبد أبي سنبل)، وراح بوارو يجاذب بننغتون أطراف الحديث فعرف منه مبلغ صلته بجَدّ لينيت وكيف صار من الأوصياء على تركتها، فلمّا وصلا إلى باب الهيكل افترقا في الزحام، وكان المرشد السياحي يشرح بصوته الجهوريّ ما تقع عليه العين من تماثيل ولوحات، وبعد قليل صاح سيمون: لقد ضقت بهذا الظلام. هيا بنا نخرج إلى ضوء النهار.

فضحكت لينيت ولكنها أذعنت فخرجا إلى الرمال الدافئة. ولما كانا غير راغبَين في العودة مباشرة إلى السفينة أسندا ظهريهما إلى الجدار الصخري المرتفع الذي شادته يد الطبيعة وحفرت فيه يدُ الإنسان المعبد العتيق، ثم راحا يستمتعان بدفء الشمس والرمال، ولم تلبث لينيت أن قالت: كم أشعر بالسعادة والأمن هنا!

ثم أغمضَت عينيها كأنها نصف نائمة، أمّا سيمون فكان مفتوح العينين فأبصر عدداً كبيراً من المسافرين يسرعون نحوهما وهم يلوّحون بأيديهم في الهواء، فجعل ينظر في مبدأ الأمر في غباء وبلاهة، ثم أدرك بعد قليل ما يهدفون إليه من إشاراتهم فقفز واقفاً على قدميه وجذب زوجته من ذراعها، وفي اللحظة التالية سقطت كتلة ضخمة من الصخر انحدرت من فوق قمة الجبل في المكان الذي كانت تجلس فيه لينيت، ولو بقيَت في مكانها لسحقتها سحقاً. ثم تعانق الزوجان وقد ابيضّ وجهاهما في حين أسرع نحوهما بوارو وتيم آلرتون يهنئانهما، ثم نظر الأربعة نحو القمة فلم يبصروا شيئاً، وقد كان هناك طريق متعرج يؤدّي إلى القمة من أمام مرسى الباخرة.

لم تنطق لينيت، أمّا سيمون فكان وجهه ينطق بالغضب الشديد وهتف من بين أسنانه بغيظ: عليها اللعنة!

ثم رمق تيم آلرتون بنظرة سريعة وقد قاوم غضبه حتى لا يُفتضح سرّ ذلك الشابّ الغريب، أما تيم فراح يُبدي دهشته وحيرته قائلاً: هل سقطَت الصخرة بفعل فاعل أم سقطت وحدها مصادفة؟

فتدخل بوارو إنقاذاً للموقف قائلاً للينيت: يحسن أن تُسرعي بالعودة إلى السفينة الآن كي تتناولي شيئاً يردّ إليك قواك.

أسرع الأربعة عائدين، وعندما أشرفوا على موضع الباخرة وقف سيمون مبهوتاً؛ فقد كانت جاكلين دي بلفور تهبط السلّم

إلى الشاطئ مرتدية ثوباً أزرق اللون وعلى وجهها آيات البراءة والطفولة. ولم يلبث أن صاح هامساً: يا إلهي! إذن فقد كانت قضاء وقدراً؟

ثم تلاشى الغضب من وجهه وبدا عليه الارتياح، وفي تلك اللحظة التفت بوارو إلى الوراء ليرى ماذا حدث لبقية الجماعة، فأبصر فان شويلر معتمدة على ذراع ممرّضتها الآنسة بويرز ومن خلفها السيدة آلرتون والسيدة أوثربورن، أمّا الباقون فلم يرَ لهم أثراً، فهزّ رأسه وصعد إلى الباخرة.

* * *

الفصل الرابع

-١-

وصلت الباخرة إلى وادي حلفا ليلاً، وعندما أشرق الصبح خرج ركاب الكرنك لمشاهدة الشلاّل الثاني على ظهور الجبال، ولكن بوارو والسيدة آلرتون آثرا السير على الأقدام، وبذلك توافرت لهما الفرصة لحديث الكهول ذوي الذكاء والحكمة، ودار الحديث حول حادث اليوم السابق قرب معبد أبي سنبل فقالت السيدة آلرتون: لقد نجَت بأعجوبة، ولا أستبعد أن يكون بعض الأطفال النوبيّين قد فعلوها على سبيل العبث الصبياني البريء.

- ربما كان ذلك يا سيدتي.

ثم غيّر موضوع الحديث فسألها عن جزيرة ماجور الأسبانية بحجّة رغبته في قضاء بعض الوقت هناك. وفي تلك الأثناء كان تيم آلرتون منصرفاً إلى مجاذبة روزالي أطراف الحديث؛ فقد كان معجَباً بالفتاة المتحفظة إلى أقصى حدود الإعجاب، وقد أخذ في حديثه يصوّر نفسه على أسوأ صورة ويبيّن لها كيف

تأبى عليه صحّته الخائرة أن يعمل عملاً يُدرّ عليه المال، وكيف أن ثروته الموروثة قليلة بحيث لا تسمح له بحياة فراغ وبطالة خالية من السأم، فقالت روزالي: ولكن الأقدار منحتك نعمة يتمنّاها الكثيرون، وأعني بذلك تلك الأم الفاضلة العطوف.

- صدقتِ في هذا؛ فهي نوع فريد من البشر.

وتمنّى تيم لو استطاع أن يردّ تحيتها بمثلها فيطري أمها كما أطرت أمه، ولكن الكلام وقف في حلقه، أمّا فان شويلر فقد بقيَت في السفينة لأن الرحلة مرهِقة، وحبست معها ممرّضتها بويرز لأن كورنيليا كانت قد أسرعت بالخروج إلى الشلاّل في صحبة الطبيب بسنر الكهل، وكانت في مبدأ الأمر تعترض على مجاذبة ذلك الطبيب أطراف الحديث إلى أن علمت أن له عيادة ناجحة في فيَنّا وأن له شهرة في معالجة الأمراض العصبية تعمّ بلاد أوروبا، فكفّت عن الاعتراض والزمجرة وصارت تحسن مقابلته.

لمّا عاد الرفاق إلى السفينة علمَت لينيت أنه قد وصلت برقيّة لها فأطلقت صيحة دهشة وقالت: برقيّة لي؟!

ثم أسرعت تفضّها، وبعد قليل صاحت بدهشة: لستُ أفهم حرفاً واحداً. بطاطا وبنجر... بربّك ما معنى هذا يا سيمون؟

همّ سيمون أن يسرع إليها لولا أن السيد ريشتي الأثري الإيطالي اختطف من يدها البرقيّة وهو يقول: هذه البرقيّة لي أنا.

فأسرعَت لينيت تعتذر إليه قائلة: لقد كان اسمي حتى

تزوجتُ من مدة قريبة الآنسة ريدغواي، وهو يشبه ريشتي في الكتابة السريعة، فلا تؤاخذني لهذا الخطأ؛ فأنا لم أقصد أن أطّلع على برقيتك طبعاً.

ولكن ريشتي أجابها بفظاظة: الأسماء يجب أن تُقرأ بعناية دائماً، والخطأ الناتج عن التسرع في هذه الأحوال لا يُغتفَر.

فوجدت نفسها في موقف حرج، ثم تأبّط سيمون ذراعها ونزلا إلى الشاطئ. في تلك اللحظة ظهر على سطح السفينة رجل طويل القامة نحاسيّ اللون كأنّ الأرض قد انشقت عنه، فاستقبله بوارو بالترحيب القلبي؛ فقد كان هذا الرجل هو الكولونيل ريسي صديقه القديم، وكان بوارو يعلم أن الكولونيل مُلحَق بقلم المخابرات البريطاني وأنه يظهر دائماً في أطراف الإمبراطورية في أوقات الأزمات وعلى غير انتظار. قال الكولونيل: سأركب معكم الكرنك عائداً إلى أسوان.

فقال بوارو بدهشة: عجباً يا كولونيل! ألم يكُن الأوفق أن تركب باخرة الحكومة؟ إنها أسرع وأكثر راحة، أمّا باخرتنا فتسير نهاراً وتقف ليلاً، في حين تسير باخرة الحكومة ليلاً ونهاراً.

- الواقع أنني مهتم بمراقبة أحد ركاب هذه الباخرة في رحلتها.

- أنا أعرفهم جميعاً، فمن هو؟

- للأسف لا أعرفه حتى الآن، فهو متآمر دولي ومرتكب

لجملة من جرائم القتل وواسع الحيلة في التنكر، وكل ما أعرفه عنه أنه من ركاب الكرنك.

- يسرّني كثيراً أن تصحبني، فلعلنا نصل معاً إلى اكتشاف ذلك القاتل ذي الشخصية الغامضة، وبهذه المناسبة أذكر لك أن الكرنك غير خالية من جو الجريمة والمغامرة.

ثم شرع يقصّ على الكولونيل ملخَّصاً مجمَلاً لمشكلة لينيت وزوجها وصديقتها القديمة ووصيّها الأمريكي، ثم ختم ذلك كله بحادثة الصخرة وعقّب على ذلك بقوله: أضرع إلى الله أن نصل إلى أسوان دون أن يحدث أمر جلل.

-٢-

في طريق العودة رست الباخرة مرة أخرى بالقرب من معبد أبي سنبل، وكان الوقت ليلاً فدبّرت إدارة الباخرة زيارة للمعبد في الضوء الصناعي، وبذلك اختلف الجوّ عن الزيارة الأولى التي كان الظلام فيها يقبض الصدور، وفي هذه المرة كان الذي يصاحب كورنيليا هو الفوضوي فيرغيسون، ومن العجيب أن ذلك الفتى قد فُتن بهذه الفتاة الطيبة البسيطة، فلمّا قالت له إنها كانت تودّ لو كان الدكتور بسنر بجوارها ليشرح لها تلك المشاهد الجميلة استاء وقال لها: لستُ أدري كيف تُطيقين صحبة هذا الشيخ الممل!

- إنه من أطيب خلق الله وأرقّهم قلباً وأكثرهم ثقافة.

- ثقافة؟ هذه الكلمة تقززني، وأظن أيضاً أن خالتك

لا تحب أن تتحدث معي؛ فهي أرستقراطية متعجرفة لا تراني ندّاً لها.

- كم أودّ لو أقلعتَ عن هذه النوبات الثورية.

- وكيف لا أثور لتلك الفروق الخرافية بين البشر؟

- أعتقد أن في معدتك آفة تجعلك ثائر الأعصاب حادّ المزاج. سأعطيك قليلاً من دواء البنسلين الذي تتعاطاه خالتي فان شويلر عسى أن يهدّئ هذا من ثورة أعصابك.

- اسمعي، أنت أحسن مخلوق بين ركّاب هذه الباخرة، هذه هي الحقيقة فاذكريها دائماً ولا تسمحي لخالتك أو لغير خالتك أن تنظر إليك باستعلاء.

فأسرعت الفتاة بعد ذلك إلى السفينة لتلحق بخالتها، فإذا بها تتحدث في قاعة المراقبة إلى الدكتور بسنر فتسأله عن مرضاه من الأمراء والكبراء، فلمّا وقع بصر خالتها عليها صاحت بها: أين شالي القطيفة؟ لقد بحثتُ عنه فلم أجده!

فأسرعت كورنيليا تبحث عن الشال الثمين فلم تعثر له على أثر، فقامت فان شويلر ممتعضة لتأوي مبكراً إلى فراشها بسبب حرارة الجوّ، وظل سيمون ولينيت يلعبان البريدج مع بننغتون والكولونيل ريسي على مائدة في أحد الأركان، أمّا بوارو فكان يتثاءب بشدّة وهو جالس إلى مائدة صغيرة قرب الباب، في حين كان فانثورب جالساً يقرأ في كتاب، وفيما عدا هؤلاء كانت القاعة خالية.

نهض بوارو ثم خرج إلى سطح السفينة فإذا به يكاد يصطدم بجاكلين التي كانت مقبلة من الجهة الأخرى على عجل، فتبادلا التحية ثم استأنف سيره إلى مقصورته لينام، ثم دخلت جاكلين القاعة، وكانت كورنيليا قد رجعت بعدما صحبت خالتها إلى حجرة نومها حاملة أشغال الإبرة إلى القاعة لأنها لم تكُن تشعر بالرغبة في النوم، وما إن استقرّت في مجلسها حتى دخلت جاكلين دي بلفور فوقفت عند عتبة الباب وقفة تحدٍّ ثم ضغطت بيدها الجرس وجلست في مواجهة كورنيليا وسألتها: هل زرتِ المعبد الليلة؟

- نعم، فالليلة مقمرة والمنظر رائع.

- أجل، هي ليلة جميلة حقاً، ليلة شهر عسل بمعنى الكلمة.

واتجهت نظراتها نحو مائدة البريدج فاستقرّت على لينيت، وفي تلك اللحظة جاء الخادم تلبية للجرس فأمرَته جاكلين أن يُحضر لها كأساً من الشراب، فرمقها سيمون بنظرة سريعة وقد ظهر على وجهه شيء من القلق، ثم بدأ يشرد عن اللعب، الأمر الذي كان يضطرّ زوجته إلى تنبيهه من حين لآخر كي يلعب عند حلول دوره.

أحضر الساقي الكأس فشربتها جاكلين جرعة واحدة وهي تقول بصوت حاد: نخب الجريمة.

ثم طلبَت من الساقي كأساً أخرى وراحت تغنّي بصوت مرتفع الأغنية التي مطلعها: «لقد كان رجلها ولكنه خان

عهدها»... فنهضت لينيت واقفة وقالت: أشعر بالنعاس وسأذهب إلى فراشي.

وكذلك نهض إلى حجرته كلّ من الكولونيل ريسي والسيد بننغتون، أما سيمون فأعلن أنه سيبقى قليلاً، فانصرفَت لينيت وحدها ومن ورائها ريسي وبننغتون. ثم شرعت كورنيليا في جمع أشغال الإبرة كي تنصرف، ولكن جاكلين توسّلَت إليها لتبقى ولا تتركها وحيدة، فأذعنت الفتاة الطيبة لرجائها. وحضرت الكأس الثانية فشربَتها مرّة واحدة أيضاً ثم أخذت تغنّي أغنيتها من جديد، فتحركَت كورنيليا لتقوم محتجّة بأن الوقت قد تأخر، فتشبثَت بها جاكلين قائلة: مُحال أن أدعك تذهبين. اجلسي وحدّثيني عن نفسك.

– ليس لديّ ما يستحقّ الذكر؛ فأنا لم أفارق دارنا قبل هذه المرة، ولهذا أستمتع بكل لحظة من لحظات الرحلة.

– لا لا، حدثيني عن نفسك بالتفصيل.

فاضطُرّت الفتاة أن تبدأ في سرد تفصيلات لا لون لها ولا طعم، وكلما همّت أن تكفّ عن الكلام استحثّتها جاكلين على الكلام وهي لا تكاد تفرغ من احتساء كأس حتى تطلب كأساً أخرى، وكانت الفتاة تعجب لهذا السلوك في نفسها ويحدّثها قلبها بأن شيئاً ليس عادياً لا بدّ أن يحدث! ولم يكذبها شعورها؛ فقد التفتت جاكلين فجأة نحو سيمون دويل الذي كان غارقاً بين دفّتَي مجلّته وقالت له ببساطة: اضغط الجرس يا سيمون؛ فأنا أريد كأساً أخرى.

- لقد شربتِ ما فيه الكفاية يا جاكلين.

وإذا بجاكلين تنفجر في وجهه صائحة: وما شأنك أنت؟

فهزّ كتفيه وقال بهدوء: لا شيء.

فجعلت ترمقه بنظراتها دقيقة أو دقيقتين ثم قالت: ماذا دهاك يا سيمون؟ هل أنت خائف؟

فلم يُجِبها وراح يقلّب صفحات المجلّة بإمعان، وتململت كورنيليا في مقعدها لتهمّ بالانصراف فقالت جاكلين: لا تنصرفي؛ فأنا بحاجة إلى وجود امرأة أخرى معي هنا لتشدّ أزري.

ثم بدأت تضحك بحالة عصبية وقالت: أتعلمين ماذا يخشى سيمون؟ إنه يخشى أن أروي لك قصة حياتي أنا بعد أن قصصتِ أنت قصتك، لماذا؟ لأنني كنت مخطوبة له يوماً ما.

- حقاً؟!

- هذه قصة محزِنة جداً؛ فقد عاملني أسوأ معاملة، أليس كذلك يا سيمون؟

عندئذ قال لها سيمون بخشونة: اذهبي إلى فراشك يا جاكلين؛ فأنت سكرى.

- إذا كنتَ محرَجاً من سماع ماضيك يا عزيزي سيمون فأنت مخيَّر في مغادرة الحجرة.

- بل سأبقى.

عندئذ أغلق فانثورب الكتاب الذي كان مستغرقاً في قراءته ثم تثاءب ونظر إلى ساعته ثم غادر القاعة، أمّا جاكلين فقد اعتدلت في مقعدها وحملقت إلى وجه سيمون ثم صاحت بصوت غليظ: أتظنّ أيها الأحمق أنك قادر على أن تصنع بي ما صنعتَ ثم تمضي ناجياً آمناً؟ لقد قلتُ لك يوماً إنني سأقتلك ولن أتركك لامرأة أخرى، وقد حسبتَني أهذي ولا أعني ما أقول، والحقيقة أنني كنت أنتظر وأتربص، فأنت رجلي. هل سمعت؟ أنت ملك يميني.

ظلّ سيمون دويل لائذاً بالصمت، وإذا بيد جاكلين تعبث لحظة في حجرها، ثم إذا بها تبسطها أمامها وفيها مسدس فتطلق عليه الرصاص، فإذا به يصرخ صرخة مكتومة وهو يتلوّى ثم يسقط على المقعد. فصرخَت كورنيليا ثم أسرعَت نحو الباب تنادي فانثورب الذي كان واقفاً بالقرب منه منحنياً فوق سياج السفينة، فأسرع فانثورب في حين وقفت جاكلين كالمصعوقة فاغرة الفم، ثم أخذت ترتعد رعدة عنيفة تشملها من قمة رأسها إلى أخمص قدميها وقد تسمّرَت عيناها على البقعة القرمزية التي كانت قد انتشرت عند ساق سيمون وخضبَت بنطاله أسفل الركبة مباشرة كما خضبَت المنديل الذي كان قد ضغط به على موضع الجرح، ثم سقط المسدس من يدها على الأرض فركلَته بقدمها فاندفع إلى أسفل مقعد من مقاعد قاعة الاستقبال، في حين جعل سيمون يصيح بصوت متحشرج: أستحلفك بالله يا فانثورب أن تكتم الخبر، فأنا أسمع وقع أقدام. قل أي شيء يكتم الفضيحة.

فطمأنه فانثورب ثم اتجه نحو الباب الذي أطلّ منه الخادم

النوبي وهو يفرك عينيه من أثر النعاس فأخبره أن المسألة لا تعدو مزاحاً من مزاح السكارى، فافترّ ثغر الخادم النوبي عن أسنانه اللؤلئية ثم انصرف راجعاً فقال فانثورب: لا أظن أن أحداً آخر قد سمع؛ فالصوت ضعيف، وهو أشبه ما يكون بفرقعة سدادة زجاجة، وعلينا الآن...

وفي تلك اللحظة قاطعته جاكلين تنشج ببكاء عصبي وهي تقول: آه يا ربي! ليتني متّ قبل هذا! سأقتل نفسي. خير لي أن أموت. ماذا فعلت؟!

فأسرعَت كورنيليا نحوها تحاول تهدئتها حتى لا تفوح رائحة الفضيحة، أما سيمون الذي كان يتلوّى من الألم فجعل يقول: أرجوكما أن تخرجاها فوراً، اذهبا بها إلى حجرتها، وأرجو منكِ يا كورنيليا أن تكلفي ممرضة خالتك بملازمتها وإعطائها دواء مهدّئاً، ثم استدعي الطبيب بسنر ليحاول تضميد الجرح، وسأدبر قصّة أضلل بها الأمر على زوجتي فيجب أن لا تعلم الحقيقة بأيّ ثمن.

وافق فانثورب وكورنيليا على أنّ ستر الحقيقة واجب، وتعاونا معاً في إخراج جاكلين التي كانت تقاوم وتبكي وتريد أن ترتمي على الأرض تارة وأن تفلت لتلقي بنفسها في النيل تارة أخرى وهي تصيح بصوت مختنق: آه يا حبيبي سيمون! لا أريد أن أعيش.

فقال فانثورب لكورنيليا: اذهبي أنت فأيقظي الآنسة بويرز، ولتُحضر معها حقنة مورفين أو ما شابه وسألازم أنا الآنسة دي بلفور ريثما تأتين بها إلى حجرتها.

فانصرفَت كورنيليا لتفعل ما أشار به فانثورب، أمّا جاكلين فأجهدَت فانثورب بكثرة محاولاتها الإفلات إلى سطح السفينة لتُغرق نفسها في النيل، فظلّ يقاومها بكل ما أوتي من قوة حتى كاد يصيبه الإعياء، وحمد الله حين انفرجت الستائر عن الآنستين بويرز وكورنيليا، ثم حقنتها الآنسة بويرز بحقنة المورفين.

بعد ذلك توجّه فانثورب إلى حجرة الطبيب بسنر، فطرق الباب ودخل دون أن ينتظر إذنه بالدخول وأوقد النور ليخبر الطبيب الذي أخذ يفرك عينيه من أثر النوم بما حدث، فأسرع الرجل بارتداء ثيابه على عجل وتناول حقيبة أدواته التي تُستخدم في الإسعاف الأوّلي، وصحبه فانثورب إلى قاعة المراقبة.

* * *

في أثناء ذلك كان سيمون قد تمكّن من فتح النافذة المجاورة لمقعده وانكفأ فوقها ليملأ صدره من الهواء حتى لا يُغمى عليه، وكان وجهه شاحباً كوجوه الموتى وقد تلطخ البساط ببقعة من الدم وكذلك تلطّخ منديل كبير. شرع الطبيب في فحص الساق بدقة وعناية ثم قال: النزيف غزير ويجب أن تساعدني يا فانثورب كي نحمله إلى مقصورتي؛ فهو لا يستطيع السير.

وبينما هما يحملانه ظهرت كورنيليا، فلما رآها الطبيب انفرجت أساريره وقال لها: أهذه أنت؟ تعالي معنا؛ فأنا بحاجة إلى من يساعدني في أثناء العملية، وأنتِ أصلح لهذه المهمة

من صديقنا هذا الذي بدأ لونه يكفهرّ منذ الآن.

فابتسم فانثورب ابتسامة كالحة وقال: هل أدعو الآنسة بويرز؟

فالتفت الدكتور بسنر إلى كورنيليا وقال لها: هل تستطيعين مساعدتي دون أن يُغمى عليك أو يحدث لك شيء سخيف من هذا القبيل؟

- أنا أستطيع أن أفعل كل ما تطلبه مني.

ثم تحرّك الموكب الرباعي مخترقاً سطح السفينة، وقد استغرقت الدقائقَ العشرة التالية جهودٌ جراحية أظهر سيمون خلالها تجلّداً أثار إعجاب الطبيب النمساوي، ثم حقنه بالمورفين لينام بعد أن طمأنه إلى أنه سيكتم السرّ ويزعم أن الإصابة حدثت نتيجة لانزلاق سيمون وأنه لن يزعج زوجته من نومها، فقال له سيمون: لي رجاء آخر يا دكتور، أرجو أن تُعنى أشدّ العناية بجاكلين؛ فهي معذورة وأنا الذي أخطأتُ في حقّها خطأ فاحشاً، وقد كانت المسكينة في غير وعيها.

- لا تقلق واستسلم للنوم، فالآنسة بويرز ستلازمها طول الليل.

- سيد فانثورب.

- ماذا يا سيمون؟

- من فضلك، يجب أن لا تترك المسدس ملقى هناك حتى لا يعثر عليه الخدم في الصباح وهم يقومون بالتنظيف.

- اطمئن، سأذهب وأخفيه حالاً.

ثم انطلق فانثورب فالتقى عند باب مقصورة جاكلين بالآنسة بويرز التي قالت له: لقد هدأت الآن، وسأبقى معها حتّى الصباح لأن المورفين يسبّب مضاعفات لبعض الأشخاص.

فاستأنف فانثورب مسيره إلى قاعة الاستقبال، وبعد ثلاث دقائق كان يطرق باب الدكتور بسنر، فلمّا خرج الطبيب انتحى به جانباً فوق ظهر السفينة وهمس في أذنه: لم أعثر على المسدس!

- ماذا تقول؟!

- لقد سقط المسدس من يد الفتاة فركلَته في ثورة وغيظ تحت المقعد أمام عيني، ولكنني لم أجده هناك!

تبادل الرجلان نظرات الحيرة فقال الطبيب: ومن عساه يكون قد أخذه؟

- لا أدري، هذا عجيب!

وافترق الرجلان على توجس وقلق وحيرة.

* * *

الفصل الخامس

-١-

كان بوارو يمسح الصابون عن وجهه بعد أن حلق ذقنه في صباح اليوم التالي عندما دخل عليه الكولونيل ريسي من دون أن ينتظر الإذن وأغلق الباب وراءه ليقول له: لقد قُتلت لينيت دويل. اخترق الرصاص رأسها الليلة الماضية.

بدا الوجوم لحظة على وجه بوارو، فقد تذكر أن جاكلين قالت له في حديقة أسوان: "كم أتمنى أن أغرس مسدسي الصغير هذا في رأسها ثم أضغط على الزناد وينتهي كل شيء". واستطرد ريسي يقول: لقد عُهد إليّ بالتحقيق، ويجب أن تُقلع الباخرة بعد نصف الساعة، ولكنها لن تُقلع حتى أُصدر الأمر بذلك شخصياً؛ فيوجد احتمال كبير أن يكون القاتل قد تسلل من الشاطئ. وعلى كل حال لقد فوّضتُ إليكَ الأمر؛ فأنت فارس هذا المضمار، وقد تركت الدكتور بسنر يفحص الجثة الآن.

فقبِل بوارو المهمة الخطيرة بغير تردد.

* * *

كان في الباخرة أربع مقصورات فاخرة مُلحَق بكل منها حمام، وكان الدكتور بسنر والسيد بنغتون يحتلاّن المقصورتين الواقعتين في جهة المرسى، ومن الجهة الأخرى مقصورة العانس فان شويلر ثم مقصورة لينيت دويل وتليها حجرة ملابس زوجها.

توجّه بوارو والكولونيل إلى حجرة القتيلة حيث كان الدكتور بسنر يفحص الجثة، فقال لهما بعد أن فرغ من الفحص: لقد أُطلق الرصاص من مسافة قريبة جداً من فوق الأذن مباشرة، والرصاصة صغيرة الحجم جدّاً من عيار ٢٢، وقد احترق الجلد حول موضع الإصابة لأن فوهة المسدس كانت ملاصقة له، وكانت القتيلة نائمة فلم تحدث مقاومة.

ثم أخذ بوارو يفحص الجثّة بنفسه فلاحظ فوق بياض الجدار الناصع حرف «ج» وقد كُتب بمادة حمراء اللون، فانحنى فوق القتيلة وتناول يدها اليمنى فوجد إصبعاً من أصابعها مُخضَّباً بالدم، والمفروض أن هذا الإصبع هو الذي كُتب به ذلك الحرف على الجدار. فصاح بسنر عندما لاحظ ذلك: هذا مستحيل! هذا تضليل؛ لقد ماتت المسكينة في الحال ولا يمكن أن تكون قد فعلت ذلك!

– طبعاً هذه حيلة المقصود بها إيهامنا أن القتيلة قد تعرفت على شخصية القاتل فكتبت الحرف الأول من اسمه بعد أن خضّبَت إصبعها بالدم النازف منها.

فقال الكولونيل ريسي: ومن الذي يبدأ اسمه بحرف الجيم؟

– جاكلين دي بلفور خطيبة دويل السابقة. لقد أطلعَتني في

أسوان على مسدس صغير وزعمَت أنها تريد أن تضعه ملتصقاً برأس لينيت دويل ثم تضغط على زناده.

- أليس هذا ما حدث فعلاً؟

- قد يكون. ولكن أخبرني يا دكتور بسنر: متى وقعت الوفاة حسب تقديرك؟

- الساعة الآن الثامنة صباحاً، وقد حدثت الجريمة منذ ثماني ساعات أو ست ساعات على أقلّ تقدير.

- أيْ بين نصف الليل والثانية صباحاً.

- أجل.

- وأين زوجها؟ أظنّه ينام في المقصورة المجاورة.

فتولى الطبيب بسنر الجواب قائلاً: هو في هذه اللحظة نائم في مقصورتي أنا.

ولمّا رأى دهشة الرجلين لم يجد بدّاً من أن يقصّ عليهما ما حدث الليلة السابقة من إطلاق جاكلين الرصاص على ساق سيمون وإصابته بكسر في العظام يحتاج إلى الكشف بالأشعة بمجرَّد العودة إلى أسوان، كما ذكر لهما أن جاكلين ظلّت تحت حراسة الآنسة بويرز طوال الليل.

بعد ذلك انتقل الرجال الثلاثة إلى قاعة التدخين حيث أمر الكولونيل ربّان الباخرة بأن يخصّصها للتحقيق الذي سيقوم به السيد بوارو، ثم سأل بوارو عن الشخص الذي اكتشف

الجريمة فعلم أنه الخادمة الفرنسية الخاصّة بلينيت (واسمها لويز بورجيه)، فقد دخلَت لتوقظها كما هي العادة كل صباح فوجدَتها على تلك الصورة فأسرعت بإخطار الربّان.

قرّر بوارو بعد ذلك أن يبدأ بالتحقيق في حادث إطلاق الرصاص على سيمون وأن يستجوب كورنيليا وفانثورب اللذين شهدا الواقعة، وكانت الحيرة الكبرى لأنّ ظروف الحادث تبعد شبهة القتل عن جاكلين وسيمون على السواء.

دُعيَت كورنيليا أولاً فذكرَت الحوادث بترتيبها، واجتهد بوارو أن يعرف أزمنة الحوادث على وجه الدقّة، فتبيّن أن لينيت دخلت مقصورتها في الحادية عشرة والثلث وأن بننغتون قد انصرف إلى حجرته بعد ذلك بثلاث دقائق أو أربع، أما وقت إطلاق الرصاص على سيمون فقد حدده فانثورب بأنه كان بعد منتصف الليل بربع ساعة حيث كان قد نظر في ساعته قبيل ذلك عندما غادر قاعة الاستقبال. وكان واضحاً أن أحداً من الأشخاص الأربعة الذين كانوا في قاعة الاستقبال لم يغادرها منذ أوت لينيت إلى حجرتها، وتأكّد بوارو أيضاً أنه بعد إطلاق الرصاص لم تُترك جاكلين وحدها دقيقة واحدة، وهذا يخرجها من دائرة الاشتباه. لقد كان بوارو حريصاً على معرفة جميع التفصيلات، ولا سيما طريقة إطلاق الرصاص وسقوط المسدس، وكذلك الاتجاه الذي رفسته إليه الفتاة في ثورة انفعالها.

وبذل بوارو عناية كبيرة في معرفة المدّة التي انقضت بين خروج فانثورب وكورنيليا للمضيّ بجاكلين إلى مقصورتها

وعودة فانثورب مصطحباً الدكتور بسنر للعناية بسيمون، فثبت أن تلك المدّة تصل إلى عشر دقائق، ثم ثبت أن المدّة التي انقضت بين نقل سيمون إلى مقصورة الطبيب وعودة فانثورب للبحث عن المسدس تزيد على خمس دقائق، وفي هذه الدقائق أخذ شخص مجهول المسدس من تحت المقعد، وكان من المستحيل أن يكون ذلك الشخص جاكلين لأنها كانت محقونة بالمورفين في حجرتها تحت ملاحظة الآنسة بويرز، فمن هو ذلك الشخص؟

هذا السؤال له أهمية كبرى؛ فمن المحتمل أن يكون ذلك الشخص هو قاتل لينيت دويل لأن هذا الوقت يتفق مع الوقت الذي قدّره الطبيب لوقوع الجريمة، كما أنه من المرجَّح بطريقة ما أنّ ذلك الشخص شهد الذي حدث في قاعة الاستقبال قبل ذلك بحيث كان يعلم مكان المسدس، لأن المسدس لم يكن ظاهراً بل كان تحت مقعد ولم يكن من الممكن أن يُعثَر عليه بمحض المصادفة. لكن فانثورب أكّد أنه لم يرَ أحداً حول قاعة الاستقبال وأن الأبواب كلها كانت مغلَقة.

بعد ذلك سأل بوارو فانثورب عن تصرفاته بعد عجزه عن العثور على المسدس، فأكّد أنه توجّه إلى مقصورته في الساعة الثانية عشرة والنصف، وهي المقصورة رقم ٢٢ في الجانب البعيد عن المرسى، وهي أقرب المقصورات إلى قاعة الاستقبال، كما أكّد أنه لم يسمع شيئاً وهو في مقصورته سوى صوت أشبه ما يكون بوقوع شيء في الماء، ولكنه لا يستطيع الجزم بذلك لأنه كان قد بدأ يستسلم للنعاس، وقد حدّد الوقت على وجه التقريب بالساعة الواحدة.

أما كورنيليا فأكدَت أنها بعد المساعدة في تضميد ساق سيمون توجّهَت إلى مقصورتها الخاصّة رقم ٤٣ من جهة المرسى، وهي المقصورة الملاصقة لمقصورة جاكلين دي بلفور، كما أكّدت أنها لم تسمع شيئاً بعد أن ذهبت إلى فراشها.

أما الآنسة بويرز فقد طابقَت أقوالها أقوال كورنيليا وفانثورب ونفَت أن جاكلين تفوّهت في نوبتها بأيّ تهديد للينيت، كما أكّدت أنها لم تفارق حجرة جاكلين طوال الليل.

وبعدما انصرفت الممرضة تبادل بوارو والكولونيل ريسي نظرات الحيرة؛ فقد انتفَت كل شبهة عن عدوة القتيلة اللدود جاكلين، فمَن قتل لينيت دويل إذن؟

-٢-

أفاقت جاكلين من تأثير المخدّر فتوجّه بوارو إلى حجرتها فوجدها قد عادت إلى عصبيتها، وقد زادت من وقع الصدمة عليها تلك الجريمة التي تمّت على الصورة التي كانت تحلم بأن تقترفها بها، وراحت تصيح وتبكي وهي تقول: أتذكُر تلك الليلة في حديقة فندق كتراكت يا سيد بوارو؟ ألم أكُن على حق حين ظننتُ أنه كان هناك شخص يُصغي إلى كلامي في الظلام بين الأشجار وأنا أصف لك كيف أريد أن أطلق الرصاص على رأسها؟

- لقد تذكرتُ هذا حقاً، وكنت أشكّ في أنك ما زلتِ تذكرينه.

- ذلك الرجل الذي كان يصغي إلينا، تُرى مَن هو؟

- وهل أنت واثقة أنه رجل يا آنسة؟

- لست أدري؛ ولكن كان هناك شخص ما.

في تلك اللحظة طرق الدكتور بسنر الباب ليبلغ بوارو أن سيمون على استعداد لاستقباله، فتوجّه بوارو إلى هناك ليجد سيمون مضعضَعاً من صدمته المضاعَفة، ولكنه كان مهتمّاً جدّاً بإبعاد الشبهة عن جاكلين فأكّد له بوارو أن الشبهة بعيدة عنها كل البعد، ولكنه سأله إن كان يشكّ في أحد فلم يستطع سيمون أن يحصر الشبهة في أحد، كما قرر أنه لا يدري شيئاً عن ظروف زوجته المالية ووجود ضغائن لهذا السبب.

قرّر بوارو بعد ذلك استدعاء الخادمة، فحضرت لويز وقالت إنها التحقت بخدمة القتيلة منذ شهرين. كانت لويز هي نفس الفتاة التي صادفها بوارو يوماً ما تتحدث مع مهندس الباخرة بحالة تبعث على الريبة فسألها بوارو: متى رأيت لينيت حية آخر مرة؟

- مساء أمس يا سيدي بعد أن ألبستُها ثياب النوم، وكان ذلك بعد الحادية عشرة.

- وكم استغرقك الوقت منذ بدأتِ إلباسها ثياب النوم إلى أن تركتِها؟

- عشر دقائق؛ فقد كانت سيدتي متعَبة، وقد أمرَتني بإطفاء النور قبل أن أخرج.

- وماذا فعلتِ بعد أن تركتِها؟

- توجّهتُ إلى مقصورتي في الطابق السفليّ.

- وهل سمعتِ أو رأيتِ شيئاً يساعدنا في التحقيق؟

- وكيف يمكن أن أسمع أو أرى؟

- هذا ما عليك أن تحدديه.

- الواقع أنني لم أكُن قريبة من مكان الحادث، فكيف يمكن أن أرى أو أسمع؟ وبطبيعة الحال لو أنني أرقتُ وصعدت السلّم ربما كنت سأرى ذلك القاتل المجرم المتوحش وهو يتسلل خارجاً من مقصورة سيدتي، ولكن...

ثم مدت يديها بحركة استنجاد نحو سيمون وقالت له: بربك يا سيدي، ماذا أستطيع أن أقول؟

- لا تكوني حمقاء يا لويز؛ فلا أحد يظن أنك سمعت أو رأيت شيئاً ولا يتهمك أحدٌ بشيء، فاطمئنّي وسأعتني بأمرك.

فشكرته على استحياء ثم توجّه إليها بوارو بالسؤال قائلاً: إذن فأنتِ لم تري ولم تسمعي شيئاً، أليس كذلك؟

- بلى يا سيدي، أنا لم أرَ شيئاً.

- وأنتِ لا تعرفين أحداً يحقد على سيدتك، أليس كذلك؟

- بل أعرف يا سيدي.

- أتعنين الآنسة جاكلين دي بلفور؟

- طبعاً هي حاقدة عليها، ولكن ليست هي التي أعني. هنا في السفينة شخص يكره سيدتي لأنها أصابته بضرر جسيم.

فصاح سيمون: يا إلهي! ومَن هو؟

- إنه الشخص الذي كان يطمع في الزواج بالخادمة السابقة ماري واسمه فليتوود، وقد اكتشفَت سيدتي أنه متزوج بالفعل في مصر وله ثلاثة أطفال، فأطلعَت ماري على ذلك السر فقطعَت علاقتها به، ولمّا علم فليتوود أن سيدتي بين ركّاب هذه الباخرة فكّر في قتلها لأنها تسببت في تحطيم قلبه كما قال لي مراراً.

- وهل أخبرتِ سيدتك بذلك؟

- لا يا سيدي.

- وهل تعرفين شيئاً عن لآلئ سيدتك؟

فاتسعت حدقتا لويز وصاحت: اللآلئ! لقد كانت ترتديها الليلة الماضية.

- وهل رأيتِ اللآلئ حين ذهبَت سيدتك إلى فراشها؟

- نعم يا سيدي.

- وأين وضعَتها؟

- على طاولة بجوار الفراش كالمعتاد.

- وهناك رأيتِها لآخر مرة، أليس كذلك؟

- بلى يا سيدي، كانت آخر مرة.

- وهل رأيتِ اللآلئ هناك هذا الصباح؟

فظهرَت الدهشة على وجه الفتاة وقالت: أنا لم أنظر إليها لأن منظر سيدتي ألهاني عن كل شيء؛ فصرختُ واندفعتُ خارجة.

- ولكنني -أنا هيركيول بوارو- لم يفُتني أن أنظر، فلم يكُن فوق المائدة التي بجوار الفراش أيّ أثر للآلئ هذا الصباح.

* * *

كلّف بوارو الخادمة بالبحث والتنقيب بين أشياء سيدتها ولكن لم يُعثَر للآلئ على أثر، فقال الكولونيل لبوارو: عندما قال فانثورب أمس إنه سمع سقوط شيء في الماء تبادر إلى ذهني أن يكون القاتل قد ألقى بالمسدس فيه.

- هذا فرض أعتقد أنه بعيد الاحتمال، وأفضّل أن نبعث في طلب فليتوود في الوقت الحاضر.

كان فليتوود رجلاً ضخم الجثة شرس المنظر، وعلى الفور عرف بوارو أنه ذلك المهندس الذي كانت تتحدث إليه لويز خلسة. وعندما واجهه بوارو بالمعلومات التي أفضت بها الفتاة أقرّ بأن الوقائع الأولى صحيحة ولكنه أنكر الإقدام على تلك الجريمة، ثم راح العرق يتصبب على وجهه فسأله بوارو: أين كنت في الليلة الماضية فيما بين منتصف الليل والساعة الثانية صباحاً؟

- كنتُ نائماً في فراشي، ويشهد على ذلك شريكي في المقصورة.

صرفه الكولونيل بعد ذلك ثم تبادل مع بوارو نظرات التساؤل، فهزّ بوارو كتفيه ثم قال: هذا رجل شرس وعصبي المزاج بالفعل ولكنه لا يذهب إلى حدّ القتل، ومع ذلك سأتحقق من صحّة أقواله، رغم أن شهادة شريكه في المقصورة لا تقطع بشيء؛ فربما كان ذلك الشريك غارقاً في النوم في ذلك الوقت.

- يجب التحقيق على كل حال.

- بعد ذلك أعتقد أننا يجب أن نُعنى بالتحرّي كي نعرف إن كان أحد الركّاب قد سمع شيئاً فيما بين منتصف الليل والثانية صباحاً يمكن أن يهدينا إلى شيء، فمن الجائز أن يكون أحد الركاب قد سمع صوت الطلقة التي قضَت على حياتها، حتى وإن كان ذلك الصوت ضعيفاً بحيث يُظَنّ أنه غير خطير.

- أنا شخصياً لم أسمع شيئاً.

- وأنا نمت هذه الليلة نوماً عميقاً جداً فلم أسمع شيئاً.

- يجب أن نسمع أقوال آل آلرتون؛ فالمقصورتان قريبتان جداً من مكان الجريمة.

حضرَت السيدة آلرتون والأسف بادٍ على وجهها، فكان أول ما ذكرته: لقد سرّني كثيراً أن تكون الآنسة جاكلين دي بلفور المسكينة بعيدة عن الشبهة.

- أنا أفهم عواطفك جيداً، والآن هل لكِ أن تذكري لنا في أيّ وقت أويتِ إلى فراشك ليلة أمس يا سيدتي؟

- بعد العاشرة والنصف مباشرة.

- وهل استغرقتِ في النوم سريعاً؟

- نعم؛ فقد كنت أشعر بالنعاس.

- هل سمعتِ أيّ شيء في أثناء الليل؟

فقطبّت حاجبَيها قليلاً ثم قالت: نعم، أظن أنني سمعت صوت سقوط شيء في الماء ثم صوت إنسان يجري أو ما أشبه ذلك، وربما كان صوت الجري سابقاً على صوت سقوط الشيء في الماء فقد كان النعاس مستولياً على مشاعري، وخُيّل إليّ أن أحداً سقط في الماء، فصحوت من ذلك الحلم المزعج وأصغيت مدة طويلة ولكن السكون كان سائداً.

- أتدرين في أيّ ساعة كان ذلك؟

- لا، أخشى أن لا أستطيع التحديد، ولكن يُخيَّل إليّ أن ذلك قد وقع بعد أن نمتُ بمدّة طويلة، ومن المحتمَل أن يكون ذلك في نحو الساعة الواحدة صباحاً.

- يا للخسارة! ليتك تستطيعين التحديد.

- لا للأسف، ولست أرى فائدة في التخمين.

- هل سبق لك أن قابلتِ لينيت دويل قبل هذه الرحلة؟

- لا، بل تيم ابني هو الذي التقى بها قبل ذلك، ولكنني سمعتُ عنها الكثير من قريبتنا جوانا ساوثوود.

- سؤال أخير يا سيدتي. هل نزلَت بأسرتك متاعب مالية بسبب مضاربات والد لينيت؟

- أنا مدركة طبعاً ما وراء هذا السؤال. لقد كان والد لينيت وجدّها سبباً في إفلاس كثير من ذوي الثروات عن طريق المضاربات، ولكن الواقع أن ذلك لم يحدث لنا.

- شكراً لكِ يا سيدتي، وأرجو أن تبعثي لنا بنجلك.

انصرفت السيدة آلرتون فوجدَت ابنها في انتظارها متشوقاً إلى معرفة الأسئلة التي وُجهَت إليها، فلخّصَت له تلك الأسئلة، ثم اندفع بعد ذلك إلى غرفة التحقيق فأجاب على أسئلة بوارو بأنه أوى إلى فراشه مبكراً في العاشرة والنصف، وقد قضى بعض الوقت في القراءة ثم أطفأ نور مقصورته في الحادية عشرة تماماً.

- وهل سمعتَ شيئاً؟

- سمعتُ صوت رجل يلقي تحية المساء، وكان الصوت آتياً من بعيد.

فقال الكولونيل ريسي: لقد كان هذا صوتي وأنا ألقي تحية المساء على القتيلة.

- أجل، وبعد ذلك استغرقت في النوم، ثم سمعت ضجّة أعقبها صوت امرأة تنادي فانثورب فيما أظنّ.

- تلك كانت الآنسة كورنيليا روبسون حين استنجدت بفانثورب بعد إصابة سيمون.

- أظن هذا، ثم سمعت بعد ذلك عدّة أصوات، ثم صوت شخص يجري فوق السفينة، ثم صوت سقوط جسم في الماء، وعلى إثر ذلك سمعتُ الدكتور بسنر يلقي أوامر مقتضَبة من قبيل: احذر، انتبه، لا تُسرع.

- وهل أنتَ متأكد من أن ما سمعته كان صوت سقوط شيء في الماء وليس طلقة مسدس؟

- ربما؛ فقد سمعتُ فعلاً صوت فرقعة خفيفة يشبه صوت خروج سدادة من فوهة زجاجة، وربما كان صوت طلقة مسدس ولكن الذي تبادر إلى ذهني أن الفرقعة صوت فتح زجاجة وأن سقوط الجسم في الماء هو صوت انصباب الشراب في الكؤوس، فالذي خطر لي أن فريقاً من الركاب يُحيون حفلة، وقد سخطتُ عليهم وتمنيت لو ذهبوا إلى حجراتهم لينانموا.

- ألم تسمع شيئاً آخر؟

- لم أسمع أي شيء ما عدا تقلّب فانثورب في فراشه في المقصورة الملاصقة لمقصورتي، حتى حسبت أنه لن ينام.

- وبعد ذلك؟

- وبعد ذلك استغرقت في النوم ولم أسمع شيئاً.

* * *

الفصل السادس

-١-

خطّط الكولونيل ريسي رسماً للباخرة الكرنك يبيّن فيه مواضع المقصورات وقال: فانثورب ثم تيم آلرتون ثم مقصورة فارغة لم ينَم فيها صاحبها تلك الليلة وهو سيمون دويل، فمَن صاحب المقصورة المجاورة من الناحية الأخرى لمقصورة لينيت القتيلة؟ هي الآنسة فان شويلر الأمريكية العجوز، فإذا كان أحد قد سمع صوتاً صادراً عن مقصورة القتيلة تلك الليلة فهو فان شويلر العجوز، وإذا كانت قد استيقظت الآن فيحسن أن نبعث إليها ونسمع أقوالها.

وبعد قليل دخلَت فان شويلر متجهمة تفيض عيناها سخطاً وغضباً، فعمد بوارو إلى تهدئتها حتى عرف منها أنها أوَت إلى فراشها في الساعة العاشرة كما اعتادت، ولكنها لم تنَم فوراً لأن كورنيليا تركَتها مدّة طويلة فظلّت ساهرة في انتظارها، وفي تلك الأثناء سمعَت صوت لويز وصيفة لينيت تلقي على سيدتها تحية المساء، وبعد ذلك أغفَت قليلاً إلى أن تنبّهت على صوت حسبَته داخل مقصورتها، ولكنها تحققَت أنه في المقصورة

المجاورة، وهي مقصورة لينيت، وبعد ذلك سمعَت صوتاً في الخارج على سطح السفينة أمام الباب، ثم صوت سقوط جسم في الماء، وقدّرَت الوقت عندئذ بأنه بعد الساعة الواحدة بعشر دقائق، ولكنها أكّدَت أنها لم تسمع صوت الطلق الناري، وإن كانت لا تجزم أن الصوت الذي أيقظها كان هو الطلق الناري، ولكنها لم تتنبه إليه لأنها كانت نائمة.

فلمّا سألها الكولونيل ريسي عمّن تظنُ أنه أسقط ذلك الجسم الذي أحدث صوتاً في الماء قالت: لستُ أظن، بل أنا أعرفه جيّداً؛ فقد ارتبت في ذلك الصوت وقمت ففتحت باب مقصورتي فرأيت الآنسة روزالي أوثربورن منحنية فوق السياج بعد أن أسقطت شيئاً كان في يدها في الماء.

- هل أنتِ واثقة أنها الآنسة روزالي أوثربورن؟

- لقد رأيتُ وجهها بوضوح.

- وهل رأتكِ هي؟

- لا أظن أنها رأتني.

عندئذ قام بوارو وتولّى هو سؤالها فقال: وكيف بدا لكِ وجهها في تلك اللحظة؟

- كانت تحت تأثير انفعال عنيف، ثم أدارت لي ظهرها واتجهت نحو مؤخرة السفينة، وعدت أنا إلى فراشي.

وفي تلك اللحظة دخل ربان السفينة فسلّم إلى الكولونيل ريسي قطعة قماش مبتلة من الحرير القرمزي، فراح الكولونيل

يبسط طيّاتها الكثيرة حتى سقطت منها لفافة أخرى هي منديل من النوع الرخيص به آثار طلاء أحمر باهت، وقد طُوي على مسدس صغير قبضته مرصَّعة باللآلئ، فظهر الفرح على وجه الكولونيل ريسي في حين تناول بوارو المسدس في يده بعناية ثم قال: نعم، هذا هو المسدس الذي رأيتُه في حديقة كتراكت، وها هما حرفا الجيم والكاف والعيار ٢٢، وقد أُطلقت منه رصاصتان.

عندئذ تنحنحَت فان شويلر ثم قالت: وشالي، هذا الذي بيدك هو شالي الحريري. لقد بحثت عنه أمس كثيراً فلم أعثر عليه، وسألت عنه كل إنسان كان في القاعة دون جدوى.

- شالك؟ ومتى كان آخر عهدك به؟

- مساء أمس في قاعة الاستقبال؛ فعندما هممت بالتوجّه إلى حجرتي لم أجده، ولست أدري لماذا وكيف استُخدم هذا الاستخدام السيّئ!

فحص الكولونيل الشال الثمين فاتّضح أنه استُخدم لكتم صوت المسدس؛ فقد أُطلقت الرصاصة من خلال طيّاته.

* * *

انتهت أقوال الآنسة فان شويلر بعد أن قررَت وأكدَت أنها لم تتعرف إلى القتيلة أو أسرتها قبل تلك الرحلة، وعندما انفرد الكولونيل بالسيد بوارو استغرق الأخير في التفكير لحظة ثم ضرب المنضدة بقبضته وقال: المسألة أشدّ تعقيداً الآن؛

فيوجد شخص كان يضمر نية قتل لينيت، وهذا الشخص شاهد مشاجرة جاكلين وسيمون في قاعة الاستقبال ورأى سقوط المسدس من يدها واستقراره بركلة من قدمها تحت أحد المقاعد، وبعد ذلك حصل هذا الشخص على المسدس وقتل به لينيت ثم كتب حرف الجيم فوق الحائط حتى يضلّل المحقّق، ثم نرى عجباً! فهذا القاتل الذي يدبّر كل شيء كي تشير القرائن إلى انحصار الشبهة في جاكلين دي بلفور لا يترك مسدسها الذي اقترف به الجريمة كي نعثر عليه فتزداد الشبهة قوة، بل يلقيه في قاع النهر، وذلك تخبّط وتناقض غير مفهومَين. في التسلسل حلقة ناقصة أو خطأ ولا شك.

- ربما، وأظنّ أنه من المناسب أن نسمع أقوال روزالي أوثربورن الآن.

- أجل، أجل، فقد يوضّح لنا ذلك بعض ما يكتنفنا من الغموض.

وبعد قليل كانت الفتاة تؤكد أنها أوَت مع والدتها إلى فراشها قبل الساعة الحادية عشرة، وأنهما لم تسمعا شيئاً غير عاديّ فيما عدا بعض الضجّة من جهة مقصورة الدكتور بسنر، ولكنهما لم تعرفا سببها قبل الصباح، فسألها كل من الكولونيل ريسي والسيد بوارو: ألم تسمعا طلقاً نارياً؟

- نعم، لم نسمع شيئاً كهذا.

- ألم تغادري مقصورتك ليلة أمس؟

- لم أغادرها.

- أواثقة أنتِ من ذلك؟

- ماذا تعني؟ أنا واثقة كل الثقة طبعاً.

- ألم تتجولي حول مؤخرة السفينة من الجهة المقابلة للمرسى وتقذفي إلى الماء شيئاً كان في يدك؟

فاحتقن وجهها وقالت: هل يحظر القانون إلقاء أشياء في الماء؟

- بالطبع لا، ولكن هل فعلتِ؟

- لا، لقد قلتُ لك إنني لم أغادر مقصورتي.

- وإذا شهد أحد أنه رآكِ، العانس فان شويلر مثلاً؟

- هل أكّدَت فان شويلر ذلك؟

- نعم؛ فقد رأتكِ أمام باب مقصورتها تلقين شيئاً في الماء، وكان ذلك بعد الساعة الواحدة بعشر دقائق.

- وهل رأت شيئاً عدا ذلك؟ هل رأت ما كان بيدي مثلاً؟

- لم ترَ شيئاً، ولكنها سمعَت سقوط الشيء في الماء، فهل ما زلتِ مصرّة على الإنكار؟

- ولماذا ألقي شيئاً في الماء في جوف الليل بالله عليك؟

- ربما كان لديك سبب، أعني سبباً بريئاً، وإن كان قد ثبت لنا الآن أن شخصاً قد ألقى في الماء شيئاً غير بريء أمس ليلاً. انظري.

ثم وضع أمام عينيها المسدس فاضطربت وقالت: وهل تظن أنني أنا القاتلة؟ هذا مضحك وسخيف؛ فأنا لم أكُن أعرفها حتى معرفة سطحية.

- ولكن تذكّري أن فان شويلر مستعدة لحلف اليمين على أنها رأت وجهك بوضوح في ضوء القمر.

- هذه عجوز حمقاء ضعيفة البصر، فلم تكُن أنا التي رأتها.

وأصرّت على تلك الأقوال ثم انصرفت، وتلَتها بعد ذلك والدتها فلم تُدلِ بأقوال تفيد التحقيق، ولكنها راحت تثرثر بتخمينات عن أسباب الجريمة.

وبعدما تمكّن بوارو من صرفها بسلام دعا السيد ريشتي الذي كان منزعجاً لما حدث، فأكّد أنه أوى إلى فراشه مبكراً جداً بعد العشاء مباشرة فقضى بعض الوقت في قراءة كتاب ظهر حديثاً عن الآثار الخزفية في الأناضول، ثم أطفأ النور قبل الحادية عشرة، ولم يسمع صوت طلق ناري ولا صوتاً يشبه فتح زجاجة مستعصية ولكنه سمع في جوف الليل صوت سقوط جسم ثقيل في الماء بالقرب من مقصورته المطلّة على الماء، ومقصورته في الطابق السفلي من جهة مؤخرة السفينة في الجانب المقابل للمرسى، وقد قدّر الوقت بأنه بعد مرور ساعتين أو ثلاث ساعات على نومه، وربما كان ذلك بعد الساعة الواحدة بقليل.

انتهت أقوال ريشتي فتبعه على الأثر فيرغيسون. وكان وقحاً

متباهياً بالوقاحة كعادته، فعندما علم بمقتل لينيت وسُئل عن معلوماته عن الحادث قال: إلى الجحيم، فالعالَم يشكو التخمة من التافهات الطفيليات ومن مثيلاتها الثريّات المغرورات. لقد كنتُ ليلة الأمس في صحبة الآنسة كورنيليا روبسون عندما زرنا المعبد، فلمّا عدنا إلى السفينة فارقتُها وتجولتُ وحدي برهة إلى أن رجعت عند منتصف الليل، فأويتُ إلى مقصورتي وهي في الطابق السفلي إلى الجهة المقابلة للمرسى، فأنا لا أسكن الطابق العلويّ مع النبلاء المتعفنين.

- ألم تسمع طلقاً نارياً أو صوتاً أشبه بخروج سدادة مستعصية من زجاجة شراب؟

- أظن أنني سمعت صوتاً كالذي تصفه ولكنني لا أذكر متى بالضبط؛ فقد كان عدد من الركاب لا يزالون يقظين، ثم سمعتُ جلبة وصوت جري في الطابق الذي يعلوني.

- ربما كان ذلك صوت الطلق الذي أصاب ساق سيمون دويل، ولكن ألم تسمع صوتاً آخر يشبهه ولا صوت سقوط شيء في الماء؟

- صوت سقوط شيء في الماء؟ أظن أنني سمعت صوتاً من هذا القبيل، ولكن كانت الضوضاء كثيرة ولهذا لستُ متأكداً.

- وهل غادرتَ مقصورتك في أثناء الليل؟

- لا، ولهذا لم أشترك في تلك العملية الموفَّقة للأسف.

انصرف فيرغيسون بعد ذلك فنظر بوارو إلى الكولونيل وقال: ألا تظن أنه الرجل الذي تنشده؟

- أنا أستبعد هذا؛ فالطراز الخطير من المتآمرين لا يبوحون بآرائهم وعواطفهم، ولكنني واثق من أن ضالّتي فوق سطح السفينة؛ فقد كانت التعليمات والمعلومات قاطعة. والآن جاء دور بننغتون وكيل لينيت ووصيّها، فلنسمع ما لديه.

دخل أندرو بننغتون وقد بدت على وجهه مظاهر الألم والحزن المفروضة في وصيّ كان بمنزلة الوالد، ولكن المظاهر لم تخدع فراسة هيركيول بوارو. وقد أكّد بننغتون أنه لم يسمع شيئاً؛ فمقصورته هي التالية لمقصورة الطبيب بسنر، وكل ما سمعه في أثناء نومه هو ضجة حول تلك المقصورة مصحوبة بعبارات غامضة عرف فيها صوت جاره الطبيب، ولكنه ليس متأكداً من الوقت بالضبط.

- ألم تسمع صوت طلقات مسدس؟

- لم أسمع شيئاً من هذا القبيل على الإطلاق.

- ومتى أويتَ إلى حجرتك؟

- بعد الساعة الحادية عشرة بقليل.

- لقد كنتَ صديقاً حميماً للقتيلة وأعلَم الناس بظروف حياتها في الغالب، ولا شكّ أنك أدرى بها من زوجها الذي لم يتعرف إليها إلا منذ أشهر قليلة، فهل تعرف أحداً يُكنّ لها حقداً خاصّاً بحيث يدفعه ذلك إلى الرغبة في قتلها؟

فبلل شفتيه الجافتين بطرف لسانه ثم قال: أؤكّد لك أنه ليست لديّ أية فكرة عن شيء من هذا القبيل. لقد نشأت لينيت في أوروبا، ولا أعرف شيئاً عن ظروفها الشخصية، وأما الظروف المادية فهي التي تحت يدي.

- ومع ذلك يا سيد بننغتون فإن من بين ركاب هذه السفينة أشخاصاً أو شخصاً على الأقل يُضمر لها السوء، ولا شكّ أنك تذكر حادث الصخرة التي كادت تفتك بها على الشاطئ نفسه ونحن في رحلة الذهاب ولم تنجُ إلا بأعجوبة.

- أنا لم أرَ ذلك الحادث لأنني كنت داخل المعبد، ولكنني سمعت عنه بعد ذلك وظننت أنها مصادفة.

- أمَا وقد حدث ما حدث فالأمر أكثر من مصادفة.

فقال وهو يمسح جبينه بمنديله الحريري بعدما تصبب عرقاً: هو ذلك فعلاً.

وبذلك انتهت أقواله إلى غير نتيجة، فلمّا انصرف أشعل الكولونيل لفافة وقال بلهجة ذات مغزى: أرى أن السيد بننغتون لم يكُن عادياً في أثناء الاستجواب يا عزيزي بوارو.

- أجل، ولكن في الأمر أكثر من هذا، فقد ذهب به الحرج والاضطراب إلى حد التورط في كذبة فاضحة؛ لقد زعم أنه كان في المعبد عندما وقع حادث الصخرة، وهذا كذب صريح، فقد كنتُ أنا موجوداً وأستطيع أن أؤكّد لك أنه لم يكن داخل المعبد في تلك اللحظة لأنني كنتُ خارجاً من المعبد في الوقت نفسه.

- يا لها من أكذوبة كبيرة!

وفي تلك اللحظة اهتزت الأرض تحت قدمَيهما؛ فبعد العثور على المسدس في جوف النهر كان الكولونيل قد أصدر أمره أن تقلع السفينة «الكرنك» عائدة إلى أسوان، وعندئذ قال بوارو: والآن حان الوقت لننظر في مسألة اللآلئ المختفية، وبما أن الغداء سيبدأ بعد نصف ساعة فأنا أرى أن أعلن قبل نهايته بقليل أن جواهر القتيلة قد سُرقت ثم أطلب من الجميع عدم مغادرة القاعة إلى أن تنتهي عملية تفتيش المقصورات، وفي نفس الوقت يجري تفتيش الركاب.

- فكرة صائبة؛ فسارق الجواهر لا يزال محتفظاً بها، وعدم إنذار السارق من قبل يحول دون إلقائه المسروقات في جوف النيل.

- والآن أحب أن نسجّل ترتيب الأحداث قبل الاستمرار في البحث.

- لقد أعددتُ مذكّرة بالموقف يا عزيزي بوارو، وأرجو أن تلقي عليها نظرة.

-٢-

تناول بوارو المذكّرة التي أعدّها الكولونيل ريسي فوجدها على النحو التالي:

كانت الخادمة لويز بورجيه آخر من رأى القتيلة حيّة في

الساعة الحادية عشرة والنصف مساء، وفيما بين الحادية عشرة والنصف والثانية عشرة والنصف كان كل من كورنيليا روبسون وجيمس فانثورب وسيمون دويل وجاكلين دي بلفور مجتمعين معاً، فهم -دون غيرهم- يملكون إثباتات تبعدهم عن الشبهة في تلك المدّة، ولكن الجريمة حدثت بعد ذلك الوقت في الغالب لأنه من الثابت أنها اقتُرفت بمسدس جاكلين بعد أن اعتدَت به على سيمون، ومن المرجَّح أن القاتل شهد بعينه المشادّة التي انتهت بإطلاق الرصاص على سيمون في قاعة المراقبة، وعندما أُخليت حجرة الاستقبال بعد ذلك حصل ذلك المجهول على مسدس جاكلين من تحت المقعد لأن خطته مبنيّة على إلقاء الشبهة على جاكلين لأنها غريمة لينيت التي طالما هدّدتها بالقتل.

وبناء على ما تقدّم تبعد الشبهة عن كورنيليا روبسون لأنها لم تتح لها الفرصة للاستيلاء على المسدس قبل عودة فانثورب للبحث عنه لأنها كانت مشغولة بمعاونة الطبيب في تضميد الجرح، ونفس الظروف تنطبق على الآنسة بويرز الممرضة وعلى الطبيب بسنر أيضاً، كما يجب ملاحظة أن فانثورب ليس بعيداً عن الشبهة بشكل قاطع لأنه يُحتمل أن يكون قد عثر على المسدس ووضعه في جيبه وزعم أنه لم يجده، ويجب أيضاً افتراض أن أيّ شخص آخر كان يمكنه أن يعثر على المسدس في مدّة الدقائق العشر التي كانت قاعة الاستقبال خالية فيها.

ثم قرأ بعد ذلك: دوافع محتمَلة للجريمة:

ربما كان أندرو بننغتون الوصيّ الأمريكي قد عبث بأمانة

التركة المعهودة إليه، ويؤيّد هذا الفرض محاولته الحصول على توقيعها، فضلاً عن شبهات أخرى ولكنها غير كافية، ولو أنه ثبت أنه مرتكب حادثة الصخرة لثبت أيضاً أنه من ذلك الطراز الذي لا يتورع عن اغتنام الفرصة العارضة دون تدبير مسبَق، ولا شكّ أن إطلاق جاكلين الرصاص على سيمون كان فرصة عارضة لم يدبّرها أحد، ولكن يُضعِف الافتراض السابق أن المسدس أُلقي في النيل، فلو أنه الفاعل فلماذا يلقي أداة الجريمة التي اختارها لإلقاء الشبهة على جاكلين ولم يترك المسدس كي نعثر عليه؟

أيضاً يوجد مهندس الباخرة فليتوود ودافعه الانتقام، وهو شخص شرس، ولعله شهد عبر الباب الزجاجي جانباً من المشادّة التي انتهت بإطلاق الرصاص على سيمون، وربما يكون قد استعمل مسدس جاكلين لأنه السلاح الوحيد الذي وجده تحت يده، فربما لم يكُن لديه مسدس. ولمّا لم تكُن نيته منصرفة إلى حصر الشبهة في جاكلين صاحبة المسدس فقد ألقاه بعد ذلك في النيل، وهذا فرض يفسّر نقطة إلقاء المسدس، ولكن يُضعِف هذه النظرية أنه إذا لم يكُن قصده إلقاء الشبهة على جاكلين فلماذا حرص على كتابة حرف الجيم بالدم على الجدران؟ كما يجب ملاحظة أن المنديل الرخيص الذي كان المسدس ملفوفاً به ربما كان يخصّ فليتوود؛ فهو أشبه به من بين سائر الركاب.

إذا أخذنا بشهادة فان شويلر نجد أن الشبهة تحوم حول روزالي أوثربورن، ولكن هل نصدّق العجوز أم نصدّق روزالي؟ لقد أُلقي شيء في النيل فعلاً تلك الليلة، وقد انتُشل

المسدس من قاع النيل ملفوفاً في شال العانس فان شويلر بالذات، كما يجب البحث عمّا إذا كان لدى روزالي أوثربورن دافع يمكن أن يدفعها لقتل لينيت. ربما كانت تحسدها، ولكن هذا لا يكون سبباً مباشراً للقتل، وليس بينهما ما يدل على معرفة سابقة.

لقد أكّدَت فان شويلر أن شالها الذي عُثر عليه ملفوفاً حول المسدس قد ضاع منها تلك الليلة، وأن آخر عهدها به كان في قاعة المراقبة، وقد لفتت الأنظار إلى ضياعه لفتاً ظاهراً في ذلك المساء بسؤال جميع الناس، فكيف حصل القاتل المجهول على ذلك الشال؟ ولماذا حصل عليه في أول السهرة ولم يكُن يوجد ما يمكن أن ينبئ بحدوث ما حدث بين جاكلين وسيمون؟ وإذا كان القاتل المجهول قد وجد الشال وهو يستولي على المسدس من تحت المقعد فمعنى ذلك أن الشال كان في القاعة، مع أنه من الثابت أن الجميع قد فتّشوا عنه هناك بعناية، وإذا كان الشال لم يُفقد من الآنسة فان شويلر وكان في حوزتها طول الوقت فادّعاؤها فقدانه يلقي عليها شبهة أنها هي التي قتلت لينيت، وفي هذه الحالة تكون شهادتها ضد روزالي أوثربورن أكذوبة مقصودة، فهل هو حقد عانس عجوز على الشابّات دفعها إلى قتل شابّة وإلقاء التهمة على شابّة أخرى؟

من المحتمَل أن تكون السرقة هي هدف الجريمة ما دامت اللآلئ قد اختفت وما دام الثابت أن لينيت كانت تتزين بها في تلك الليلة، ولا أستبعد وجود ثأر قديم لأسباب مالية -على الأرجح- بين أسرة القتيلة وطرف آخر، كما أن لدينا معلومات

موثوق بها عن وجود ذلك المتآمر الدوليّ المشهور، وهو قاتل محترف مطلوب القبض عليه من السلطات المختصّة لارتكابه ستة حوادث قتل، فهل يمكن أن تكون له صلة بهذه الجريمة؟ يجب أن نعرف أولاً إذا كانت لدى لينيت معلومات خطيرة تهدد سلامة ذلك الشخص قبل مصرعها، وفي هذه الحالة يكون من المنطقيّ أن يُقبل على التخلص منها لتأمين حياته.

وعلى ذلك يمكن تقسيم ركاب الباخرة إلى فريقَين: الفريق الأول هو الذي أمكن افتراض شبهات حول أفراده، والفريق الثاني أفراده بعيدون عن الشبهة حتى الآن، أما فريق المشتبه في أمرهم فهم: أندرو بننغتون، فليتوود، روزالي أوثربورن، الآنسة فان شويلر، لويز بورجيه بقصد السرقة، فيرغيسون بدافع سياسي. أمّا فريق البعيدين عن الشبهة فهم: السيدة آلرتون، تيم آلرتون، كورنيليا روبسون، الآنسة بويرز، الطبيب بسنر، السيد ريشتي، السيدة أوثربورن، جيمس فانثورب.

* * *

فلمّا فرغ بوارو من قراءة تلك المذكرة قال للكولونيل: لقد كنتَ مثالاً للدقّة فيما سجّلتَ.

- هل أنت موافق على هذه الملاحظات؟

- نعم، ولكن السؤال الرئيسي الذي أعتقد أنه مفتاح القضية هو: لماذا أُلقي المسدس في النيل؟ فلو عرفنا الجواب الصحيح على هذا السؤال لتبدّد كل غموض يحيط بالجريمة.

ثم تناول بوارو الشال القرمزي وراح يقلبه بين يديه، وفحص الثقوب الناجمة عن إطلاق الرصاص وما يحيطها من حروق ثم قال للكولونيل ريسي: أنت أدرى منّي بكل ما يتعلق بالأسلحة النارية يا عزيزي الكولونيل، فهل تعتقد أن لفّ المسدس الصغير في هذا الشال وإطلاق النار من داخله يكتم صوت الطلقة كل الكتمان؟

- لا.

- وهل تعتقد أن الرجل الذي تعوّد استعمال الأسلحة النارية يمكن أن يجهل هذه الحقيقة؟

- لا بدّ أنه يعرفها بالطبع.

- أما المرأة التي لم تتعود ذلك فمن المحتمَل أن تجهل هذه الحقيقة فتظنّ أن الشال سيكتم الصوت، ثم إن هذا المسدس الدقيق الحجم لا يُحدث صوتاً عالياً، فإذا أُطلق في الوقت الذي ترتفع فيه أصوات أخرى لما انتبه إلى انطلاقه أحد في الغالب.

- من الجائز جداً أن يكون الأمر كذلك.

ثم تناول بوارو المنديل الذي به آثار الطلاء الأحمر الباهت وراح يقلّبه بين يديه قائلاً: ولكن ليس هذا منديل امرأة بل منديل رجل، ولا شك أنه ليس رجلاً راقياً لأنه أشبه بمناديل الخدم؛ فهو لا يساوي أكثر من قرش أو قرشين، أيْ من النوع الذي يستخدمه رجل مثل فليتوود، أما بننغتون

فيستخدم مناديل حريرية فاخرة، وقد رأيته يُخرج إحداها لتجفيف عرقه المتصبب.

- إذن فربما كان فيرغيسون...

- ربما، وربما تعمّد القاتل استعمال هذا النوع بمثابة قفاز حتى لا تترك بصمات يده أثراً.

* * *

الفصل السابع

-١-

دخل أحد الخدم ليخبر بوارو أن سيمون دويل يطلب مقابلته، فأسرع إليه حيث كان لا يزال راقداً في مقصورة الدكتور بسنر، وكان وجهه محتقناً بتأثير الحمّى وقد جلس معتمداً إلى كومة من الوسائد وارتسمت على وجهه أمارات الحيرة والارتباك، فشكر بوارو على تفضله بالحضور ثم قال: لديّ مسألة أُحب أن أتحدث إليك بشأنها.

- وما هي؟

- إنها بخصوص جاكلين، فأنا -باختصار- أريد أن أراها، فهل لديك مانع؟ وهل تعتقد أنها تمانع في الحضور إذا طلبتُ منها ذلك؟ لقد قضيتُ هذه المدّة راقداً أفكّر في الصدمة التي أصابت هذه المسكينة؛ فهي طفلة وحيدة ليس لها من يعينها كما تعلم، والحقيقة أنني أسأت إليها كثيراً حتى حطمتُ أعصابها وأفقدتُها التوازن.

ثم سكت سيمون لا يدري ماذا يقول وقد زادت وطأة

ارتباكه، فحدّق بوارو إلى وجهه مليّاً ثم قال: هل تريد أن ترى الآنسة جاكلين؟ حسناً، سأحضرها إليك.

- هذا كرم عظيم منك.

ذهب بوارو يبحث عن جاكلين دي بلفور فوجدها جالسة وحدها في أحد أركان قاعة المراقبة وفوق ركبتيها كتاب مفتوح ولكنها لم تكُن تنظر إليه، فقال لها بوارو: السيد سيمون دويل يريد أن يراكِ، فهل تأتين معي إليه؟

كان صوت بوارو رقيقاً جداً فيّاضاً بالحنان، فلمعت عيناها واحمرّ وجهها ثم اصفرّ وظهرت عليها الحيرة وهي تقول: سيمون يريد أن يراني أنا؟!

- نعم، فهل تأتين معي؟

- نعم، نعم، بكل تأكيد.

ثم مضت معه في إذعان الأطفال، ولكن في ارتباكهم وحيرتهم أيضاً. فلما وصلا دخل بوارو أولاً فأعلن قدومها، ثم دخلَت فوقفَت في مكانها كالمترنحة وقد تسمّرَت عيناها على وجه سيمون. وكان سيمون لا يقلّ عنها ارتباكاً، ولكنه تمالك نفسه قبلها فقال متلعثماً: مرحباً بكِ يا جاكلين، كرم منك أن تأتي، فأنا أريد أن أقول... إن ما أقصده...

وعندئذ أخرجَته من ارتباكه وقد أخذت الكلمات تتدفق من فمها وهي تلهث قائلة: سيمون، أنا لم أقتل لينيت، أنت

تعرف أنني لم أقتلها. لقد كنتُ كالمجنونة أمس، يا إلهي! هل تسامحني يا سيمون؟

– نعم، نعم، أنت معذورة، وكل ما هنالك أنّك أفرطتِ في الشراب بعض الشيء.

– ماذا تقول؟ كان من الممكن أن تصيبك هذه الرصاصة في مقتل.

– ما هذا الهراء؟ لا تقولي هذا.

– ولكن ربما تتضاعف إصابة ساقك في المستقبل.

– كفى هراء يا جاكلين؛ فعند وصولنا إلى أسوان سيُجرون عليها كشفاً بالأشعة ويتولى أخصائي عملية التجبير بعد أن يُخرج الرصاصة ويهتمّ بها، وسرعان ما ستلتئم وتشفى.

ترنحت جاكلين قليلاً ثم اندفعت نحوه وركعت إلى جوار الفراش وأخذت تنتحب، فجعل سيمون يربّت عليها، والتقت عيناه بعينَي بوارو فتنهد بوارو وتسلل خارجاً وهو يسمع همسات جاكلين المتقطعة وهي تقول: آه، سيمون يا حبيبي، كيف أمكنني أن أفعل هذا بك؟!

وجد بوارو الآنسة كورنيليا منحنية فوق السياج أمام الباب فالتفتت نحوه قائلة: ما أعجب المفارقات! تصوّر أن تكون بهذه الحالة في يوم بديع كهذا اليوم، انظر إلى السماء وإلى الشمس!

فنظر بوارو إلى السماء ثم قال لها كمن ينشد أغنية

محفوظة: عندما تبزغ الشمس لا يستطيع الإنسان أن يرى القمر، ولكن عندما تغيب الشمس يبصر الإنسان القمر.

- ماذا تقول؟ طبعاً هذا شيء بديهي معروف.

- أنا رجل عجوز أحمق يهذي بالبديهيات.

ثم استأنف سيره فطرقت سمعه أصوت متقطعة من المقصورة المجاورة، مقصورة آل أوثربورن، وكانت تقول: يا لكِ من ناكرة للجميل! أبَعد كل ما فعلت من أجلِك؟ ألا تدركين مبلغ عذابي؟ ألا تراعين مزاج أمك؟

فزمّ بوارو شفتيه عندئذ وطرق الباب، فإذا بصوت السيدة أوثربورن يسأل: من الطارق؟

فقال: هل الآنسة روزالي موجودة؟

برزت إليه روزالي فلاحظ تحت عينيها حلقات سوداء وتقرّحاً في أجفانها، فبادرته بالسؤال في جفوة عمّا يريد فأجابها: حبذا لو تكرمتِ ببضع دقائق للحديث على انفراد يا آنسة.

فظهر عليها الوجوم والتردد، ولكنه كرّر التوسل فمشت معه إلى سطح السفينة، ثم اتجها إلى مؤخرتها لأن المكان كان خالياً هناك. وقف بوارو وظهره إلى السياج، أمّا روزالي فوقفت أمامه منتصبة القامة كما يقف الجنود وقفة الانتباه، ثم أخذ يتكلّم ببطء وهدوء وهو ينتقي الكلمات انتقاء فقال: لقد تعودتِ أن تحملي عبء همومك وحدك يا آنسة، ولكن هذا

العبء قد طال بك احتماله حتى أرهقكِ وبدأَت تظهر عليك بوادر التعب والإعياء.

- لستُ أدري عمّ تتكلم!

- أنا أتكلم بلسان الواقع يا آنسة، والواقع أحياناً كريه لا نحب أن نواجهه، ولكنني رجل يحب أن يسمّي الأشياء بأسمائها، وقد تبينتُ من خبرتي الطويلة أن ذلك أهون على النفس. باختصار: إن والدتك تدمن الخمر.

سكتت روزالي ولم تُجب، ثم فغرَت فمها ولكنها أغلقته ثانية وهي لا تدري ماذا تقول، فاستطرد بوارو عندئذ قائلاً: لا حاجة بك إلى الكلام يا آنسة؛ فسأتولى أنا عنك ذلك. لقد اهتممتُ منذ كنّا في أسوان بدراسة العلاقة بينك وبين والدتك، فأدركتُ أنك تشعرين نحوها بعاطفة قوية صادقة، ثم قابلتُ والدتك بعد ذلك ذات صباح باكر وكانت في حالة سُكر واضح، ولما جلستُ معكما إلى المائدة رأيتُها تكرّر على مسمعي أنها لا تذوق الخمور، فأدركتُ أنك أنت التي تمنعينها من ذلك وأنها تشرب في حجرتها سرّاً وخلسة. وأستطيع أن أؤكد لك أنه قد حدث في الليلة الماضية في أثناء استغراق والدتك في النوم أن عثرت أنت في داخل حجرتها على مخبأ الخمر السري فحملتِ صندوق الخمر وألقيتِ به في النيل، أليس هذا هو ما حدث يا آنسة؟

- بلى، هذا ما حدث، وكان خطأ مني أن لم أصارحك بالحقيقة بعد أن شهدَت الآنسة فان شويلر أنها رأتني، ولكنني

شديدة الخجل من سلوك والدتي يا سيد بوارو، وإن كنت أعذرها وأشفق عليها.

- هدّئي من روعكِ؛ فالسرّ عندي مَصون.

- لا شكّ في هذا يا سيد بوارو، ولكن أرجو منك أن تغفر لي جفوتي.

- لا حرج عليكِ. والآن أخبريني: هل كان إلقاؤك صندوق زجاجات الخمر بعد الساعة الواحدة بعشر دقائق؟

- ربما؛ فقد كان الوقت نحو ذلك فعلاً.

- وهل رأيتِ فان شويلر كما رأتكِ؟

- لا.

- وهل رأيتِ أحداً آخر حينما كنت واقفة فوق سطح السفينة؟

فسكتت لحظة وقد قطّبَت حاجبيها كمن يفكّر تفكيراً عميقاً، ثم هزّت رأسها ونفت ذلك بلهجة قاطعة، فهزّ بوارو رأسه، ولكن عينيه كانتا تلمعان ببريق خاصّ.

-٢-

أقبل الناس على قاعة الطعام جماعات وأفراداً، ولكن في تراخٍ كأنهم يشعرون أن الإقبال على الطعام شيء غير مستحَبّ بعدَ تلك الجريمة التي ذهبت ضحيتها لينيت دويل بسبب ذلك

العقد. ودخل تيم آلرتون القاعة بعد أن أخذت أمه مكانها، وكان بادي الوجوم والسخط حتى إنه بدأ الحديث بقوله: ليتني لم أشترك في تلك الرحلة المنكودة!

فهزّت أمه رأسها في حزن موافِقةً فاستطرد قائلاً: لقد جدّ في الأمر جديد؛ فقد اتضح فقدان اللآلئ أيضاً.

- لآلئ لينيت؟

- نعم، يبدو أن أحداً استولى عليها.

- ربما كان هذا هو الدافع إلى الجريمة؟

- وما يدريكِ؟ أنت تخلطين بين مسألتين منفصلتين تمام الانفصال يا أمّاه.

- من الذي أنبأك أن اللآلئ سُرقت؟

- فيرغيسون، وقد علم بذلك من طريق صديقه مهندس الآلات المدعوّ فليتوود، وفليتوود علم بذلك من الخادمة.

- لقد كانت لآلئ فاخرة.

في تلك اللحظة دخل السيد بوارو القاعة فجلس إلى جانب السيدة آلرتون كعادته، ثم حياها بإحناء رأسه بظُرفه المعهود مع السيدات واعتذر عن تأخّره بسبب انشغاله، ثم طلب زجاجة من الشراب فعلّقت السيدة آلرتون على ذلك بقولها: نحن متديّنون بمعنى الكلمة، أما أنت فلا تُقلع عن احتساء الشراب مع كل وجبة، في حين يُصرّ ابني على قدح منه، أمّا أنا فتكفيني كأس من المياه المعدنية.

فحملق بوارو إلى وجهها قليلاً وقد لمعت عيناه، ثم هزّ كتفيه كأنه يصرف عن ذهنه خاطراً طرأ عليه. ثم بدأ يتحدث في موضوعات خفيفة ممّا يتلهّى الناس به وهم جلوس إلى مائدة الطعام، وبعد طبق أو طبقَين قال بوارو لتيم آلرتون: أخبرني، هل تشبه صديقتك الآنسة جوانا ساوثوود ابنةَ خالتها الفقيدة لينيت دويل؟

- لا شبه بينهما إطلاقاً؛ فجوانا صديقة لينيت وابنة خالتي أنا، لا العكس كما فهمتَ.

- لقد اختلط عليّ الأمر؛ فخالتك شخصية معروفة يرِد اسمها كثيراً في أخبار المجتمعات الراقية، ولقد استحوذَت على اهتمامي منذ وقت طويل.

فسأله تيم آلرتون بشيء من الحدّة: لماذا؟

نهض بوارو نصف نهوض لينحني باحترام لجاكلين دي بلفور التي مرّت بمائدتهم في تلك اللحظة في طريقها إلى مائدتها، وكانت وجنتاها متوهجتين وعيناها لامعتين وأنفاسها لاهثة في غير انتظام، ولما استقرّ في مجلسه بعد لحظة كان يبدو عليه أنه نسي سؤال تيم آلرتون، ثم راح يهمس كالمتحيّر: هل كل مَن لديها جواهر ثمينة تُهمل شأنها كما كانت تفعل لينيت دويل؟!

وعندئذ وجدت السيدة آلرتون الفرصة سانحة فسألته: هل صحيح أن جواهرها سُرقت؟

- من أنبأكِ يا سيدتي؟

فتولّى تيم الجواب عنها فقال إن فيرغيسون هو الذي أنبأهما، وعندئذ أمّن بوارو على صدق الرواية، فعقّبت السيدة آلرتون على ذلك قائلة بعصبية ظاهرة: أعتقد أنه ستترتّب على ذلك نتائج سيئة ومضايقات تعمّنا جميعاً كما تنبأ تيم.

- لعلك قد سبقَت لك تجربة يا سيد تيم؟ هل سبق أن كنتَ مدعوّاً في بيت عندما حدثت به سرقة جواهر؟

- لا، لم يسبق لي ذلك.

فقالت أمه بدهشة: بل كنتَ يا عزيزي في قصر آل بورتر لينغتون عندما سُرقت ماسات سيدة القصر!

- أنت دائماً تخلطين بين الأشياء خلطاً لا نظير له يا أمّاه، بل كنتُ هناك حينما اتضح أن الماسات التي كانت تحيط بعنقها ماسات مزيَّفة، أمّا عملية إبدال الماسات الصحيحة بالمزيَّفة فربما كانت قد تمّت قبل تلك الليلة بشهور طويلة، بل الواقع أن عدداً كبيراً من الحاضرين اعتقدوا أنها هي نفسها التي قامت بذلك الإبدال لتسرق زوجها.

- لعلّ جوانا هي صاحبة هذا الرأي يا بني.

- لم تكُن جوانا هناك.

- ولكنها تعرف هذه المجموعة جيداً، وأنا أعرفها وأعرف أنها تظن مثل هذه الظنون الخبيثة.

- الواقع أنني لا أدري سبباً لتحاملك الدائم على جوانا يا أمّاه.

فأسرع بوارو عندئذ إلى تغيير موضوع الحديث، فتكلّم عن أثواب من الحرير القرمزي رآها في بعض حوانيت أسوان قبل ركوب الكرنك، وكيف أنه حينما تعود الباخرة إلى أسوان يريد أن يشتريها ويكلّف المحلّ بإرسالها باسمه إلى لندن عن طريق البريد، ثم عقّب على ذلك بقوله: وقد قيل لي إنهم يستطيعون تصديرها نظير رسوم ليست باهظة، فهل تعتقد أن البضاعة ستصل سالمة إلى لندن؟

فقالت السيدة آلرتون إنها سمعَت من كثيرين أنهم سبق أن أرسلوا إلى لندن أشياء كثيرة عن طريق هذه المحلات مباشرة وأنها وصلتهم كاملة سالمة، فقال بوارو: عظيم، إذن سألجأ إلى هذه الطريقة، ولكن ما يزعج الإنسان ويتعبه حقاً حين يكون في الخارج هو وصول طرود مصدَّرة إليه من إنكلترا، فهل سبقت لكم تجربة في هذا الباب؟ ألم تصلكم من إنكلترا طرود منذ غادرتموها؟

فقالت السيدة آلرتون: لا أظن. هل وصلنا شيء من ذلك يا تيم؟ فأنت تحصل على كتب من إنكلترا في بعض الأحيان، ولكن الكتب تختلف تماماً عن غيرها.

فقال بوارو: طبعاً يا سيدتي، فالكتب لها حالة خاصّة؛ فالطرد يكون مفتوحاً من أعلى وأسفل ولا يكون بالأمر حاجة للفتح والتفتيش لاقتضاء الرسوم كما يحدث هذا في الطرود العادية.

* * *

في ختام الطعام قدّم الخدم الحلوى، ثم نهض الكولونيل

ريسي فشرح ظروف الجريمة باقتضاب وأزاح الستار عن سرقة اللآلئ، وبعد ذلك أعلن أن السفينة يجب أن تفتَّش، على أن يبقى الركاب في القاعة إلى أن تتمّ عملية التفتيش في جميع المقصورات والحجرات، وبعد ذلك سيتولى السقاة تفتيش الركّاب شخصياً. فارتفعت همهمة ولغط على أثر ذلك، فأسرع بوارو وهمس في أذنه بكلمة ثم خرجا معاً، واستدعى الكولونيل ساقياً معيَّناً فألقى إليه أمراً موجَزاً، ثم خرج الاثنان إلى سطح السفينة وأغلقا الباب وراءهما، ولم يلبث الساقي أن عاد وقال للكولونيل: توجَد سيدة تريد أن تتحدث إليك فوراً، وهي الآنسة بويرز الممرضة.

- أحضرها فوراً، ولا تدع أحداً يغادر القاعة.

لم تلبث بويرز أن لحقت بالرجلين في حجرة التدخين، ثم فتحت حقيبة يدها فأخرجَت منها عقد اللآلئ ووضعته أمام الرجلين فوق المائدة الصغيرة، فأصابتهما دهشة طاغية فقال ريسي: ما هذا بالضبط؟ هل أخذتِ هذا العقد من حجرة لينيت دويل؟ أريد الحقيقة.

- لا بالطبع يا كولونيل ريسي، فالتي أخذته من هناك هي فان شويلر.

- فان شويلر؟ المليونيرة المتزمتة العجوز؟!

- نعم، لقد فعلت ذلك بغير إرادتها؛ فهي مريضة بداء السرقة وهذا هو سبب ملازمتي لها ليل نهار في الداخل والخارج. هي في الواقع ليست مريضة بأيّ داء يجعلها في حاجة

إلى إشراف ممرّضة باستمرار، بل إن مهمتي الأساسية في الواقع هي الحيلولة بينها وبين هذه السرقات المرَضيّة، ولحسن الحظ أنه لم تحدث فضيحة واحدة منذ تعهدتُ بها لأنها لا تجعلني أحتاج إلى تعب كثير في الواقع؛ فهي تُخفي كل ما تسرق في مكان واحد لا يتغير هو جورب قديم، وفي كل صباح أفتّش في ذلك الجورب، كما أنني أبيت دائماً في الحجرة المجاورة لها وأنام نوماً خفيفاً، وكثيراً ما أستيقظ قبل أن تتحرك للسرقة ليلاً، وإذا بتنا ليلتنا في فندق أحرص على أن يكون بين حجرتي وحجرتها باب مفتوح، وهي مغرَمة باللآلئ غراماً خاصّاً.

- وكيف اكتشفتِ هذه السرقة؟

- وجدتُها في الجورب هذا الصباح، وكنت أعرف أنها لآلئ لينيت دويل لأنها لفتت أنظارنا جميعاً وهي ترتديها، فهممت أن أتوجّه إلى حجرتها لأضعها في مكانها قبل أن تستيقظ لينيت وتتبيّن فقدانها، وإذا بي أجد خادماً واقفاً بالباب يخبرني بنبأ مصرعها، فأُسقطَ في يدي، ولكنني تمنّيت أن أتمكن من التسلل إلى المقصورة خلسة لكنني لم أستطِع، وكل رجائي أن لا تصل الفضيحة إلى الصحف أو إلى أحد من الركاب لأن أسرة فان شويلر أسرة محافظة جداً، فهل أطمع منكما في تحقيق هذا الرجاء؟

- هذا يتوقف على الظروف، ولكنني أعدك أن نبذل ما في وسعنا، ولكن ماذا ستقول فان شويلر إذا سألناها؟

- إنها تنكر دائماً، ولهذا لا يبدو عليها الاضطراب أو الخجل ولا تقاومني حين أتعقبها ليلاً وهي تتسلل من حجرتها،

بل تزعم أنها كانت خارجة للنظر إلى ضوء القمر، ثم تعود معي مستسلمة في وداعة الحملان.

- وهل تعلم كورنيليا روبسون هذا عن خالتها؟

- لا، ولكن والدتها تعلم، وقد أخفَت الحقيقة عن ابنتها لأنها رأت في انتباهي وحرصي الكفاية.

عندئذ شكرها الرجلان فانصرفت، ولكن بوارو عاد فاستوقفها عند الباب وسألها: هل فان شويلر مصابة بمرض القتل اللاإرادي أيضاً؟

- لا؛ فهي لا تستطيع أن تؤذي ذبابة، وأقسم على هذا.

- وهل هي مصابة بشيء من الصمم؟

- نعم، ولكنك لا تلاحظ ذلك وأنت تحدّثها عن قرب، ولكن يحدث في كثير من الأحيان أن لا تسمع صوتك عندما تدخل من الباب ولا تشعر بدخولك.

- أتعتقدين أنها يمكن أن تسمع من يتحرك في مقصورة لينيت دويل المجاورة لمقصورتها؟

- لا، لا أعتقد مطلقاً أنها يمكن أن تسمعه، وخصوصاً أن مائدة الزينة في الحائط المقابل للحائط الفاصل بين المقصورتين.

- شكراً لك. أرجو الآن أن تذهبي مباشرة إلى قاعة الطعام حيث تمكثين مع الآخرين.

فلما همّت بالانصراف قام معها الكولونيل ريسي حتى أوصلها إلى باب قاعة الطعام، ثم عاد ليجد بوارو منهمكاً في تقليب العقد بين يديه فقال له بوارو: فان شويلر كانت صادقة في جزء من أقوالها وهو رؤيتها روزالي أوثربورن؛ فعندما فتحَت مقصورتها لتتسلل إلى مقصورة لينيت كي تسرق العقد رأت روزالي أوثربورن.

- أتعتقد إذن أن روزالي كانت هناك وكانت تلقي المسدس في النيل، أي أنها هي القاتلة؟

- روزالي كانت تلقي شيئاً في النيل فعلاً، وهذا الشيء هو صندوق زجاجات الخمر التي ضبطَتها والتي كانت أمها المدمنة قد خبّأته في المقصورة.

وباختصار أفهمَ بوارو الكولونيل سرّ روزالي، فعقّب الكولونيل على ذلك بإبداء أسفه قائلاً: أنا مسرور لبراءة ساحة هذه الشابّة المهذَّبة، ولكن ألم ترَ أحداً أو تسمع شيئاً وهي في ذلك الموقف؟

- لقد سألتُها عن ذلك فصمتت نحو عشرين ثانية ثم قالت إنها لم ترَ أحداً ولم تسمع شيئاً.

- عجباً! إذا صحّ أن لينيت دويل قد قُتلت بالرصاص في نحو ذلك الوقت لكان من العجب أن لا يسمع أحد الطلقة لأنه في نحو ذلك الوقت كانت جميع الأصوات قد هدأت في السفينة، فمهما كان صوت الطلقة ضعيفاً فلا بدّ أن يفطن إليه أحد، ولمّا كانت فان شويلر تشكو صمماً نسبياً فمن الطبيعي

أنها لم تسمع، أما المقصورة المجاورة لها من الناحية الأخرى فينام فيها بننغتون الوصيّ الأمريكي!

- أجل يا عزيزي الكولونيل، نحن لا نزال نعود إلى بننغتون بين الحين والحين، ولكن دعنا الآن من هذا ولنقُم بتفتيش المقصورات قبل أن يضجّ الركاب من الانتظار.

- ولماذا نفتش المقصورات يا سيد بوارو؟ ألم نعثر على العقد؟

- أتعني هذه اللآلئ؟

ثم تناول العقد وذاق بعض حباته بلسانه، ثم عضّها بأسنانه والكولونيل يحملق إلى وجهه مأخوذاً، ثم هزّ كتفيه ورمى بالعقد فوق المائدة وهو يقول: في القضية تعقيدات أخرى يا عزيزي الكولونيل. هذا العقد تقليد متقَن للعقد الثمين الذي لا يزال مختفياً في مكان مجهول.

غضب الكولونيل ريسي لذلك، فراح بوارو يهدئ من ثورته قائلاً له: هذا الاكتشاف يؤدي بنا إلى احتمالين: الاحتمال الأول أن تكون فان شويلر قد سرقت العقد المزيَّف بعد أن سطا اللص على العقد الأصلي، والاحتمال الثاني أن تكون قصة مرض السرقة من نسج خيال الآنسة بويرز وأن تكون هي السارقة وكانت من سرعة الخاطر بحيث سلّمتنا العقد المزيَّف.

* * *

بدأ التفتيش على الفور بمقصورات الطابق السفلي، فكانت

المقصورة الأولى هي مقصورة السيد ريشتي وقد عُثر فيها على مؤلفات في الآثار بلغات مختلفة ومجموعة مختلفة من الملابس وزيوت للشعر ذات رائحة نفّاذة وخطابَين خاصّين، أحدهما من بعثة للتنقيب عن الآثار في سوريا والآخر من شقيقة له في روما، وكانت مناديله جميعاً من الحرير الملوَّن.

ثم انتقلا إلى مقصورة فيرغيسون فإذا مجموعة من الكتب الشيوعية وصور كثيرة وملابس خارجية ممزَّقة قذرة وملابس داخلية من أجود الأنواع وأغلاها ومناديله من أفخر أنواع الكتان، ولم يعثرا على أوراق أو خطابات من أيّ نوع ولكن بوارو عثر على خاتم به فصّ منقوش راح يتأمله بإمعان قبل أن يضعه مكانه.

وبعد ذلك اتجها إلى مقصورة لويز بورجيه خادمة القتيلة، وهناك وجدا خادماً أبلغهما أنه لم يوفَّق في العثور على لويز في أيّ مكان من الباخرة، فألقى ريسي نظرة على المقصورة فوجدها خالية، ثم انتقل مع بوارو إلى مقصورات الطابق العلوي وبدأ بمقصورة جيمس فانثورب.

كانت المقصورة التالية مقصورة تيم آلرتون، وهي تدلّ للوهلة الأولى على أن ساكنها متدين صميم؛ فعلى الحائط مسبحة كبيرة حباتها من الخشب المنقوش نقشاً دقيقاً غريب الشكل، ومجموعة طيّبة من الكتب الإنكليزية التي صدرت حديثاً في بريطانيا، وكمية كبيرة من الخطابات متناثرة هنا وهناك. فألقى بوارو عليها نظرة فلاحظ من بينها خطابين من جوانا، ثم تناول أنبوبة من السيكوتين (المعجون اللاصق)

قلبها بين أنامله دقيقة أو أكثر قليلاً ثم أعادها إلى مكانها.

ثم انصرفا إلى مقصورة السيدة آلرتون فإذا كل شيء نظيف طيب الرائحة مرتب، ولم يجدا شيئاً يستحق الذكر من خطابات أو غير ذلك. فانتقلا إلى مقصورة السيد سيمون دويل، وكانت ملابسه الخاصّة وأدوات زينته قد نُقلت إلى مقصورة الدكتور بسنر، ولم يسفر التفتيش الدقيق عن العثور على شيء له صلة بالجريمة أو بالسرقة.

ثم انتقلا بعد ذلك إلى مقصورة القتيلة، وكانت الجثة قد نُقلت إلى غرفة التبريد، ولكن كل شيء -فيما عدا ذلك- كان على حاله دون تغيير، فبدأ بوارو ينقّب ويفحص بكل اهتمام، فجثا على ركبتيه وراح يفحص الأرض فحصاً دقيقاً، ثم فحص الفراش والملابس، ثم توجّه بعنايته إلى حوض المغسل فوجد به معاجين مختلفة وعطوراً وزيوتاً، ولكن الشيء الذي استأثر بانتباهه دون سواه كان زجاجتين من طلاء الأظافر تناولهما فإذا إحداهما تحمل اللون الوردي وكانت خالية إلا من نقطة أو نقطتين من سائل أحمر داكن، وأما الزجاجة الأخرى التي تماثلها حجماً فكانت تحمل بطاقة اللون القرمزي وكانت ملآنة حتى فوهتها تقريباً. وفتح بوارو الزجاجة الأولى الفارغة ثم الزجاجة الثانية المليئة وشمّهما، ثم أعرب عن رغبته في الرجوع إلى الخادمة لويز شخصياً كي يستفسر منها عن نقطة غامضة.

بعد ذلك غادر الرجلان مقصورة القتيلة إلى مقصورة فان شويلر فإذا مظاهر الترف والغنى بادية وإذا فيها عدد من

الأوراق الخاصّة والخطابات عُني بترتيبها، وليس هناك شيء يُذكر فيما عدا ذلك.

وكانت المقصورة التالية هي مقصورة بوارو نفسه، ومن ورائها مقصورة الكولونيل ريسي، فأعرب الكولونيل عن شكّه في أن يخفي اللص العقد في إحداهما، فقال له بوارو: ولِم لا؟ لقد كنتُ ذات مرة راكباً قطار الشرق السريع ووقعت جريمة سرقة، وكان المسروق شيئاً تافهاً، عبارة عن شال من الحرير الأحمر، وقمتُ أنا بالتحقيق في هذه السرقة، فأين تحسبني وجدته؟ وجدتُه في حقيبتي المغلقة يا صديقي.

– إذن هيا لنرى إن كان أحدهم قد أخفى المسروقات عندي أو عندك.

ولكن اتضح أن اللص لم يكُن جسوراً إلى هذا الحد، فانصرف الرجلان بعد ذلك إلى البحث في حجرة الآنسة بويرز، ولكنهما لم يجدا فيها شيئاً يثير الريبة، وكانت مناديلها من الكتّان العاديّ وتحمل الحرف الأول من اسمها، وكانت المقصورة التالية هي التي تقيم فيها السيدة أوثربورن وابنتها روزالي، وقد فحصها بوارو فحصاً دقيقاً ولكن بغير طائل.

بعد ذلك انتقل الرجلان إلى مقصورة الدكتور بسنر التي كان سيمون دويل راقداً فيها وأمامه صينية من الطعام لم تمسّه يده، فطلب رفع الطعام، وكان يبدو أسوأ حالاً عمّا كان عليه من قبل. وقد أظهر سيمون دهشة شديدة عندما أنبأه بوارو أن لآلئ زوجته قد سُرقت ثم إن الآنسة بويرز ردّتها بعد ذلك فاتضح أنها تقليد مُتقَن، فأكّدَ تأكيداً قاطعاً أن زوجته لم تكُن

تملك صورة مقلَّدة لعقدها الثمين وقال: لقد كانت لينيت تحب اللآلئ حباً جماً وتضعها في كل مكان، وكانت قد أمّنَت عليها، وهذا ما جعلها قليلة الاكتراث لصيانتها من الضياع.

- إذن يجب أن نستمر في البحث.

ثم أقبل الرجلان على جانب من جوانب الحجرة أحدهما على الخزانة والآخر على الحقيبة، فصاح سيمون محملقاً: اسمعا، لا أظنكما ترتابان في أن يكون بسنر هو الذي سرق العقد.

- وماذا نعلم نحن عن بسنر إلاّ ما يذكره هو عن نفسه؟ كل شيء جائز في نظر المحقق الجنائي.

- ولكنه ما كان ليخفي شيئاً هنا دون أن أراه.

- بالضبط، ما كان ليخفي هنا شيئاً اليوم دون أن تراه، ولكننا لا نعلم متى تمّ إبدال العقد الصحيح بالمزيَّف، فمَن يدرينا أن ذلك الإبدال لم يقع منذ بضعة أيام؟

لكن البحث لم يُسفر عن شيء. ثم كانت المقصورة التالية مقصورة بننغتون، وقد قضى الرجلان في تفتيشها وقتاً غير قصير، فقد فحصا بعناية حقيبة مليئة بالوثائق والمستندات التي كانت كل ورقة فيها تنتظر توقيع لينيت، ولكنهما اقتنعا أخيراً بأن الرجل ليس من الغفلة بحيث يترك أيّ وثيقة تدينه أو تثبت عليه أيّ تلاعب بعد علمه بمقتل لينيت. ثم عثرا في أحد الأدراج على مسدس ضخم، ففحصه بوارو ثم أعاده إلى مكانه إذ كان واضحاً أن الجريمة لم تُقترف بمسدس من ذلك

النوع، ولم يجدا بعد ذلك شيئاً يُلفت النظر فخرجا.

اقترح بوارو أن يمضي الكولونيل في تفتيش بقية المقصورات، وهي مقصورة تشغلها جاكلين وكورنيليا، ومقصورتان خاليتان، في حين يذهب بوارو إلى مقصورة الدكتور بسنر ليتحدث إلى سيمون دويل في نقطة تشغل باله. وقد تم الاتفاق على ذلك، وما إن دخل بوارو على سيمون حتى بادره الشابّ قائلاً: لقد فكّرت جيداً. أنا متأكد تمام التأكّد من أن هذه اللآلئ كانت على ما يرام حتى أمس.

- وما الذي يدعوك إلى هذا اليقين يا سيد دويل؟

- لأن لينيت كانت تتأملها بهيام قبل العشاء مباشرة وهي تحدثني عنها، وأعتقد أنها -وهي الخبيرة باللآلئ- كانت حَريّة أن تكتشف الحقيقة لو أن ما بين يديها كان هو العقد المزيَّف.

- ربما، ولكن أخبرني: هل كان من عادة لينيت أن تترك هذه اللآلئ بعيدة عن نظرها طويلاً، كأنْ تُقرضها لصديقة ترتديها في حفل أو ما أشبه؟

- الواقع أنه يصعب عليّ أن أقطع في هذه المسألة بقول يا سيد بوارو؛ فكما تعلم أنا لم أعرف لينيت إلاّ منذ مدّة قصيرة، ولكن يخيَّل إليّ أن لينيت كانت سخية بما في يدها غاية السخاء، ولهذا يغلب على ظنّي أنها ربما فعلت ذلك.

وعندئذ ازداد صوت بوارو نعومة وهو يسأله: ألم تقرض العقد لصديقة تعرفها مثل الآنسة جاكلين دي بلفور مثلاً قبل أن تتعرف أنتَ على السيدة لينيت؟

- ماذا تعني؟ هل تقصد أن جاكلين سرقت اللآلئ؟ إنها لم تسرقها يا سيدي وأقسم على ذلك؛ فجاكلين صريحة مستقيمة كالسيف، ومجرَّد تصوّر أنها تتسلل وتسرقه ينطوي على تناقض سخيف.

- يا إلهي! لقد هيجتُ بهذه الإشارة عشّ الدبابير. لا عليك.

وعندئذ رنّت في أذن بوارو كلمة جاكلين ليلة الالتقاء بها في حديقة فندق كتراكت بأسوان حين قالت: أنا أحب سيمون وسيمون يحبّني.

وفي تلك اللحظة فُتح الباب ودخل الكولونيل ريسي فقال: لم أجد شيئاً، وها هم السقاة قادمون بنتائج تفتيش الركاب، فقد قام كبير السقاة بتفتيش الرجال، أما النساء فقد قامت بتفتيشهم كبيرة الخادمات.

وتقدّم كبير السقاة أولاً فقال: لم نجد شيئاً يا سيدي.

- ألم يحاول أحد مقاومة التفتيش أو التهرب؟

- لقد حاول ذلك الرجل الإيطالي فثار وزمجر واعتبر التفتيش إهانة يا سيدي، وهو يحمل مسدساً ضخماً من طراز موزر.

وبعد ذلك تقدمت كبيرة الخادمات، وهي امرأة كبيرة الحجم ولكنها وسيمة مهذَّبة فقالت: لم أجد شيئاً يا سيدي مع السيدات، وقد أتعبنني كثيراً بالاحتجاجات ما عدا السيدة

آلرتون، ولم أجد للآلئ أثراً ولكنْ عثرت مع الآنسة روزالي أوثربورن على مسدس في حقيبة يدها.

- من أيّ طراز؟

- إنه شيء صغير جداً كلُعب الأطفال يا سيدي، ومقبضه مرصَّع باللآلئ.

وعندئذ زمجر الكولونيل ريسي قائلاً: تباً لهذه الفتاة! لقد ظننتها بريئة فسرّني ذلك، ولكن تُرى هل كل امرأة في هذه السفينة تحمل مسدساً مرصَّع القبضة باللآلئ؟

أما بوارو فلم يتأثر بما سمع، ثم سأل كبيرة الخادمات بهدوء: هل أظهرت شيئاً من الاضطراب عندما اكتشفتِ المسدس في حقيبتها.

- لا يا سيدي، بل أنا لا أظنها عرفت أنني رأيته؛ فقد كان ظهري إلى جهتها وأنا أفتح الحقيبة.

- والخادمة لويز بورجيه، ما خبرها؟

- لقد بحثنا عنها في كل مكان فلم نعثر عليها يا سيدي.

عندئذ تدخّل سيمون دويل في المناقشة وسأل: ما هذا؟ ماذا جرى للويز؟

- خادمة زوجتك اختفت.

فصاح بشيء من الحدّة: اختفت؟!

فقال له الكولونيل ريسي: ربما كانت هي التي سرقت الجواهر؛ فالفرصة متاحة لها أكثر من غيرها لصنع ذلك التقليد المتقَن والقيام بعملية الاستبدال.

- هل تظنّها ألقت بنفسها في النيل عندما وجدَت أن التفتيش سيضيّق عليها الخناق؟

- مستحيل أن يحدث هذا في سفينة كهذه وفي وضح النهار! لا بدّ أنها في مكان ما.

ثم اتجه بعد ذلك إلى كبيرة الخادمات فسألها: متى شاهدتِ لويز بورجيه آخر مرة؟

- قبل انطلاق جرس الغداء بنصف ساعة يا سيدي.

- إذن لنلقِ نظرة أخرى فاحصة على حجرتها، فقد يهدينا هذا إلى شيء.

مضى الرجلان إلى الطابق السفلي فإذا بالوصيفة التي مهمّتها ترتيب شؤون سيدتها في غاية الفوضى وسوء النظام، فأقبل بوارو على فحص الأدراج في حين انهمك ريسي في فحص الحقيبة.

كانت أحذية لويز مصفوفة أمام السرير، ويبدو أن زوجَين منها أسودين لامعَين كانا مستقرَّين في وضع غريب بعض الشيء؛ فقد كانت المقدمة إلى أسفل والكعب إلى أعلى، وقد ظهرا غير مستقرَّين في وقفتهما تلك التي تدل على شيء ظاهر، فلفت ذلك الحذاء العجيب نظر ريسي فأغلق الحقيبة

وانحنى فوق هذه الأحذية، وفجأة انطلقت من فمه صيحة شديدة، فالتفت بوارو إليه وسأله بالفرنسية: ماذا هناك؟

فقال ريسي متجهماً: إنها لم تختفِ؛ ها هي هنا، تحت السرير!

* * *

الفصل الثامن

-١-

تحت السرير كانت ترقد جثة امرأة ميتة عُرفت باسم لويز بورجيه وهي على قيد الحياة. انحنى الرجلان فوقها، وقد كان ريسي أسبقهما إلى النهوض قائلاً: لقد ماتت منذ وقت لا يزيد على الساعة إلا قليلاً فيما أعتقد، وسأدعو الدكتور بسنر لفحصها الآن، وإن كان ظاهراً أنها أصيبت بطعنة في القلب فماتت لتوّها؛ فهذا وجهها متقلّصاً يبعث الرعدة في الجسد.

ثم تناول بوارو يدها اليمنى بلطف فظهر بين أصابعها شيء استخلصه وقدّمه إلى ريسي، فإذا قصاصة من الورق الملوَّن عبارة عن جزء من ورقة نقد من فئة ألف فرنك فقال ريسي: لقد ثبت الآن أنها كانت تعرف شيئاً عن القاتل فكتمَته ثم حاولَت ابتزاز المال منه بالتهديد، وأظنّك تذكر أننا لاحظنا عليها الالتواء وهي تُدلي بأقوالها يا بوارو.

- يا لنا من مغفَّلَين! ألا تذكر أنها قالت: "ماذا كان يمكن أن أرى وأنا في الطابق السفلي؟ أمّا لو أنني صعدت السلّم إذن

لكان من الجائز أن أرى القاتل داخلاً أو خارجاً من مقصورة سيدتي". هذا ما قالته يا عزيزي بحذافيره، وهذا ما حدث؛ فقد جفاها النوم فصعدت إلى السطح كي تستنشق الهواء فرأت القاتل، وقد أغراها الطمع فكتمت ما رأت، فانتهى بها الطمع إلى هذه النتيجة.

- ولكن هذا لا يهدينا إلى القاتل.

- بل نحن نعرف الكثير الآن، نعرف كل شيء تقريباً يا كولونيل. ولكنني لا أكاد أصدّق، ومع هذا لست أرى مناصاً من أن يكون الأمر كذلك؛ فالتهديد هو الدافع لها على كتمان الحقيقة.

- ولكن لماذا دفع لها القاتل ما طلبَته بالعملة الفرنسية؟

- ربما فاجأت القاتل بالتهديد فاضطُرّ إلى أن يدفع لها كل ما معه من أنواع العملة المختلفة، ومن بينها العملة الفرنسية.

- ولكن لماذا قتلها بعد أن أعطاها النقود؟

- لقد أدرك أن التهديد لن ينتهي وأنه سيكون تحت رحمة هذه الشيطانة دائماً، فانتهز فرصة انشغالها في عدّ المبلغ للتأكّد من مقداره وطعنها هذه الطعنة النجلاء ثم راح يجمع نقوده، ولم ينسَ تلك الورقة التي بقي طرفها بين أصابع القتيلة، ثم لاذ بالفرار بعد ذلك.

- إذن سيسهل علينا التعرف عليه عن طريق هذه الورقة المقطوعة.

- لا أظن ذلك يسيراً يا عزيزي الكولونيل؛ فمَن كان في مثل ذكائه الذي عهدناه حتى الآن لا بدّ أن يراجع تلك الأوراق ويُعدم هذا الدليل الذي يقوده إلى المشنقة.

ثم حضر الدكتور بسنر مأخوذاً بتلك الجريمة الجديدة ففحص الجثّة على عجل وأكّد ما اعتقده الكولونيل ريسي من أن الوفاة حدثت منذ أقلّ من ساعة، فسأله بوارو: ما نوع الأداة التي تمّت بها الجريمة؟

- هذا شيء غريب فعلاً؛ فهي آلة دقيقة حادة رفيعة النصل. أظن أنني أستطيع أن أُريك شيئاً مثلها.

ثم خرج الدكتور بسنر فتوجّه إلى مقصورته وأبرز مشرطاً طويلاً من مشارط الجراحة وقال: بمثل هذه يا سيدي تمّت الجريمة لا بمدية عادية أو سكين من سكاكين المائدة أو المطبخ.

- أليست أدواتك الجراحية ناقصة؟

- ماذا تريد أن تقول؟ هل تعتقد أنني أنا... أنا كارل بسنر المعروف في جميع أنحاء النمسا، أنا بعياداتي والطبقة العريقة النسب من زبائني ومرضاي أقتل وصيفة مسكينة؟! هذا شيء مضحك وسخيف. اعلم أنه لم تنقص أية آلة من آلاتي الجراحية؛ فهي هنا جميعاً سليمة كاملة في مواضعها المعهودة وفي مقدورك أن تتحقّق من هذا بنفسك. ولن أنسى ما حييت هذه الإهانة التي لحقت بمهنتي الشريفة.

ثم أغلق حقيبة الأدوات الجراحية وألقى بها بعيداً واستطرد صائحاً: والآن هل تتكرمان بإخلاء مقصورتي؛ فأنا

يجب أن أنصرف الآن لعمل الغيار لساق مريضي.

فتسلّل الرجلان خارجَين، وزمجر ريسي بكلام غير مفهوم ثم انصرف، أمّا بوارو فاتجه إلى اليسار وقد طرق سمعَه وهو سائر طرَف من حديث النساء وضحكة ناعمة، فقد كانت جاكلين مع روزالي في حجرة الأخيرة وكان الباب مفتوحاً والفتاتان واقفتين بقربه، فلمّا وقع عليهما ظلّه التفتتا نحوه، فحيّته روزالي بابتسامة حيية فقال لها: هل تغتابان أحداً؟

فقالت روزالي: لا، الواقع أننا نعقد مقارنة بين أقلام طلاء الشفاه.

ولمحت جاكلين ابتسامته فلم يخفَ عليها أنها ستار زائف، فتركَت قلم طلاء الشفاه الذي كان في يدها واتجهت نحوه تقول: هل حدث شيء؟ هل جدّ جديد؟

- الأمر كما تقولين فعلاً يا آنسة، لقد جدّ جديد.

عندئذ خرجت إليه روزالي وقالت متسائلة: ماذا جرى؟

- جريمة قتل أخرى.

فشهقت روزالي شهقة شديدة وبدا في عينيها شيء يشبه الذعر، ولكنه لم يعبأ بذلك فأردف يقول: لقد قُتلت وصيفة لينيت دويل.

فصاحت جاكلين: قُتلت؟! أتقول قُتلت؟ أتعني أنها ماتت...

- نعم، لقد قُتلت، ومن الواضح أن هذه الفتاة كانت

قد رأت شيئاً لم يكن ينبغي لها أن تراه؛ لذلك أخرس القاتل لسانها حتى لا تبوح بمعلوماتها الخطيرة.

فسألته جاكلين: ماذا رأت؟

- رأت شخصاً يدخل مقصورة لينيت دويل أو خارجاً منها في تلك الليلة المشؤومة، وللأسف ماتت دون أن تُدلي باسم من رأت.

وفي تلك اللحظة سُمعت فوق ظهر السفينة خطوات ظهرت على أثرها كورنيليا روبسون وقد اتسعت حدقاتها وفاضتا رعباً ثم صاحت:آه يا جاكلين! لقد حدث شيء هائل، جريمة أخرى!

فالتفتت نحوها جاكلين ثم سارت معها وسار بوارو وروزالي في الاتجاه المضادّ، فلمّا ابتعدا قليلاً سألته روزالي: لقد لاحظتُ أنك كنت تنظر إلى وجهي بإمعان طَوال الوقت وأنت تتحدث، رغم أن التي كانت تسألك هي جاكلين، فلماذا كنتَ تنظر إليّ؟ وماذا كان يدور في ذهنك؟

- هذان يا آنسة سؤالان، وسوف أجيبك على سؤال واحد منهما. ولكن جوابي سيكون سؤالاً ثالثاً: لماذا لا تقولين لي الحقيقة يا آنسة؟

- لستُ أدري ماذا تعني! لقد قلتُ لك كل شيء هذا الصباح.

- لا، بل توجد أشياء كتمتِها عنّي؛ فلم تذكري لي -مثلاً-

أنك تحملين في حقيبة يدك مسدساً صغير الحجم مقبضه مرصَّع باللؤلؤ، ولم تخبريني أيضاً من الذي رأيتِه في الليلة الماضية وأنتِ على ظهر السفينة، فما جوابك؟

فاحتقن وجهها ثم قالت بحدّة: ليس صحيحاً أنني أحمل مسدساً.

ثم اندفعت إلى مقصورتها وأحضرت حقيبة يدها فوضعتها بين يديه قائلة: هذه هي حقيبتي، فلتتحقق بنفسك.

ففتح بوارو الحقيبة ولم يجد بداخلها مسدساً، فأغلق الحقيبة وأعادها إليها باسماً وهو ينظر إلى عينيها، فتناولتها ثم قالت: ها أنت ذا ترى يا سيد بوارو أنك لست معصوماً من الخطأ على الرغم من شدّة ذكائك وقوة فراستك، وكما أن هذه النقطة غير صحيحة فالمسألة الأخرى التي أشرت إليها غير صحيحة مثلها.

- لا، لا أظن ذلك.

فدقّت الأرض بقدمها غاضبة وقالت: أنت تدفعني إلى الجنون؛ فما إن تضع في رأسك فكرة حتى تتمسّك بها مهما كانت سخيفة.

- لأنني أريد أن أظفر بالحقيقة.

- وما الحقيقة؟ أنت تتكلم كما لو كنتَ تعرفها أكثر منّي، فبربك لماذا تسألني يا سيد بوارو؟

- أتريدين حقاً أن أقول لك ماذا أبصرتِ في تلك الليلة؟

- نعم.

- أعتقد أنك حين دُرتِ حول مؤخرة السفينة وقفت دون قصد منك لأنك رأيت رجلاً يخرج من مقصورة في منتصف الصف، وهي مقصورة لينيت دويل كما تبيّن لك في اليوم التالي، وقد رأيتِه يخرج متسلّلاً ويغلق الباب وراءه ثم يبتعد عن موضعك إلى الناحية الأخرى باباً أو بابَين، ثم يدخل مقصورة من المقصورتين الأخيرتين في الصفّ. هل أصبتُ يا آنسة؟

فلم تُجِبه بشيء فأردف قائلاً: لعلّك تعتقدين أنه من الخير لك أن لا تتكلمي، ولعلّك أيضاً تخشين أن تُقتَلي إذا تكلمتِ كما قُتلت المسكينة لويز بورجيه.

وخُيّل إليه أن معركة نشبت في أعماق نفسها ووراء شفتيها المطبَقتين، ثم انفرجت هاتان الشفتان واختلجتا لحظة ثم قالت: لم أبصر أحداً.

-٢-

انتهت عملية الغيار على ساق سيمون دويل، فخرجت الممرّضة بويرز من مقصورة الدكتور بسنر وهي تسوّي كمَّيها بيديها، فتركت جاكلين صحبة كورنيليا وأسرعت إليها تسألها عن حالة سيمون، وفي تلك اللحظة وصل بوارو ليسمع جواب الممرضة أن الحالة ليست منذرة بالخطر، فصرخت جاكلين قائلة: أتعنين أنها سيئة؟

- الحقيقة أننا سنشعر بارتياح كبير حين نصل إلى أسوان

ونضعه بين يدَي أخصائيّ يفحصه بالأشعة ثم يسلّمه إلى جرّاح للعظام، ولكننا لن نصل إلى أسوان قبل صباح الغد للأسف، وكنّا نتمنى أن نصل قبل ذلك ولكننا نبذل كل ما في وسعنا.

- هل سيموت؟

- لا يا آنسة جاكلين، أو هذا على الأقل ما لا نتمناه؛ فالجرح في حد ذاته ليس خطيراً، ولكن العقاقير هنا غير متوفرة ولا يمكن جبر العظام قبل الفحص بالأشعة، يضاف إلى هذا الحُمّى التي بدأت تنتابه والصدمات العصبية التي لا تلائم الجرحى، كما أن ارتفاع درجة الحرارة علامة غير مستحَبّة في هذه الأحوال.

ثم انصرفت الممرضة على الفور ففاضت الدموع من عينَي جاكلين حتى أصبحت لا تبصر طريقها إلى مقصورتها فراحت تترنح، وإذا بيد تسند ذراعها فرفعت رأسها لترى بوارو إلى جوارها، فساعدها على الوصول إلى مقصورتها حيث ارتمت فوق السرير والدموع تزيد انهماراً، ثم أخذ جسدها كله يهتزّ اهتزازاً عنيفاً بزفيرها وشهيقها وهي تقول: سيموت، سيمون سيموت، وأنا التي قتلته بيدي.

فهزّ بوارو كتفيه وحاول أن يذكّرها بأنه لا فائدة من التحسّر على ما فات وأن ما كُتب قد كُتب وأنه لا داعي للتشاؤم فقالت: ولكنني أحبه كثيراً، كثيراً جداً.

فتنهّد بوارو وقال: أكثر مما يجب، ولكن ينبغي أن لا تخافي ممّا سمعتِ من الآنسة بويرز، فممرّضات المستشفيات

يمِلْن كثيراً إلى تكديس البلايا على رؤوس الناس، وهنّ متشائمات دائماً، فممرضة الليل تُبدي دهشتها حين ترى المريض لا يزال حياً عند بداية نوبتها، وممرضة النهار تبدي دهشتها حين تجده قد عاش حتى الصباح! إن عقولهن محشوّة باحتمالات المضاعفات والنكسات، وذلك أشبه بمن يقود سيارة وإلى جانبه شخص من هؤلاء الأذكياء ذوي الفطنة يقول له بين دقيقة وأخرى: "افرض أن عربة اعترضَتك من المنعطف الأيمن، أو افرض أن سيارة النقل التي أمامك غيّرَت مسارها وأخذت في المشي بظهرها فجأة، أو أن كلباً نهش ذراعك وأنت تُخرجه من السيارة، أو أن العجلتين الأماميّتين انفجرتا، أو أن صاعقة نزلت من السماء..."، فهذه كلها احتمالات تنجم عنها الوفاة، ولكن الذي يحدث في الغالب أن شيئاً من هذه الاحتمالات لا يقع وأن الرحلة تتمّ بسلام.

فابتسمت جاكلين من خلال دموعها وقالت: هل تحاول تعزيتي يا سيد بوارو؟

- لا، ولكنني أؤكد لك أن المحنة قد أوشكت على الانتهاء، وأنه بمجرد وصول سيمون إلى مستشفى أسوان سينال العناية الواجبة وسيصبح كل شيء على ما يرام.

- حقاً؟ هل سيُشفى سريعاً؟

- نعم، نعم، سيكون كل شيء في النهاية على ما يرام وستعيشان كما في الحكايات وتنجبان البنين والبنات، أليس كذلك؟

فاحمرّ وجهها وقالت: أؤكّد لك يا سيد بوارو أنني لم أقصد قطّ...

فهزّ رأسه هزّة العارف ثم تركها وقد اطمأنّ إلى هدوء نوبتها. ولما صار على سطح السفينة ابتدره الكولونيل ريسي الذي كان يتمشى هناك فقال: أين أنت يا بوارو؟ لقد خطر لي خاطر يا رجل.

- حقاً؟ ما هو؟

- كلمة سمعتها عفواً عن برقيّة فضّتها لينيت على سبيل الخطأ وهي تحسبها لها، مع أنها بعنوان ريشتي.

- هذا صحيح.

- ربما لم يقُدنا هذا الخيط إلى شيء، ولكن مَن يدري؟ فلماذا لا نذهب الآن ونستوضح سيمون دويل عن ملابسات تلك البرقيّة، فقد كان شاهد عيان؟ هذا إذا أذن لنا صديقنا اللدود الدكتور بسنر.

لكن اتضح أن الطبيب كان لا يزال ساخطاً؛ فحينما طرقا باب مقصورته قال عابساً: ماذا تريدان الآن؟ أتريدان رؤية مريضي مرة أخرى؟ لقد قلت لكما إن هذا ليس من الحكمة في شيء؛ فهو محموم وقد عانى من الاضطراب اليوم بما فيه الكفاية بسبب موت زوجته أولاً ثم موت خادمته ثانياً.

وبعد توسّل ووعد بعدم الإطالة غادر الطبيب المقصورة منذراً بالعودة بعد ثلاث دقائق لا تزيد ثانية واحدة، فتولّى

الكولونيل ريسي شرح الموضوع لسيمون الذي قال على الفور: نعم، أذكر ظروف تلك البرقيّة جيداً؛ فقد حدث ذلك ونحن في وادي حلفا. لقد عُدنا من مشاهدة الشلاّل الثاني فخُيّل إلى لينيت أنها رأت برقيّة باسمها معلَّقة على لوحة الرسائل، ولقرب عهدها بالزواج كانت قد نسيَت أن اسمها قد تغيّر من ريدغواي إلى دويل، وبالخطّ السريع الذي تُكتب به البرقيات يسهل أن يخلط الإنسان بين ريشتي وريدغواي، ففضّت البرقيّة ولكنها لم تفهم منها شيئاً ولم تميّز لها رأساً من ذنَب على حد تعبيرها، وكانت تُبدي لي عجبها وحيرتها حين أقبل ريشتي من الشاطئ فانتزع البرقيّة من يدها وهو يتميّز غضباً، فخجلَت لينيت وجعلت تعتذر ولكنه كان فظّاً جدّاً في ردّه عليها، حتى إنها كادت تبكي.

فزفر الكولونيل زفرة عميقة وقال: وهل تذكر يا سيد دويل شيئاً من الكلمات الغريبة التي وردت في تلك البرقيّة؟

- نعم؛ فقد قرأَت لينيت جانباً منها بصوت عالٍ، وقد جاء فيها على ما أذكر...

وتوقّف قليلاً كأنما يلتقط أنفاسه، وإذا بجلبة في الخارج وصوت مرتفع يقترب من الباب وهو يصيح: أين السيد بوارو والكولونيل ريسي؟ يجب أن أراهما فوراً، الأمر غاية في الأهمية؛ لديّ معلومات خطيرة. هل هما مع السيد دويل؟

ولم يكُن الطبيب بسنر قد أغلق الباب، ولم يكُن يحجب المقصورة إلا ستارة أزاحتها السيدة أوثربورن جانباً ثم دخلَت كالقنبلة وقد احتقن وجهها وتشعّث شعرها وتداخلت الكلمات

على لسانها وهي تقول: آه يا سيد دويل! لقد عرفتُ من الذي قتل زوجتك.

فصاح سيمون بصوت عالٍ جداً: ماذا تقولين؟! أتعرفين حقاً من قتل زوجتي؟

- اليد التي قتلت الخادمة لويز بورجيه هي التي قتلت لينيت دويل.

فقال سيمون بانزعاج شديد: نعم، نعم، هذا بديهي، وبعد؟

- إذن فكلامي صحيح، وأنا أعرف من الذي قتل لينيت دويل لأنني رأيت بعينَيّ قاتل لويز بورجيه.

- رأيتِه بعينيكِ؟!

- نعم، رأيت الشخص الذي قتل لويز بورجيه بعينَيّ هاتين.

فإذا بالمريض المحموم يصيح بأعلى صوته: بربك كفى تمهيدات وابدئي القصة من بدايتها لا من خاتمتها.

- اطمئن؛ فسأحكي لكم ما حدث بالضبط وبالتفصيل، الآن.

ثم أخذت نفساً طويلاً وفتحت فمها فقالت: حدث ذلك وأنا هابطة إلى قاعة الطعام لتناول الغداء، والواقع أنني كنتُ زاهدة في الطعام، وذلك طبيعي بالنسبة للظروف الدامية التي

أحاطت بنا هذا الصباح. ولا أُطيل عليكم، ففيما أنا في طريقي تذكّرت أنني نسيت شيئاً في حجرتي، فطلبتُ من روزالي أن تسبقني إلى قاعة الطعام ثم رجعت إلى مقصورتي.

وعندئذ لمعت عينا بوارو بضحكة مكتومة لأنه أدرك أنها عادت إلى المقصورة كي تختلس جرعة من الخمر قبل الغداء، وفي تلك اللحظة أيضاً أُزيح جانب من ستارة الباب كأن النسيم هو الذي حركها فلم يلتفت أحد من الموجودين في المقصورة إلى ذلك، ثم استطردت السيدة متلعثمة: والحقيقة أنني كنت اتفقت مع بعض خدم الباخرة كي يُحضروا إليّ شيئاً لاستعمالي الشخصي دون علم ابنتي؛ فهي حسّاسة ومثيرة للضجر في بعض الأحيان، ولذلك...

فتحركَت الستارة مرة أخرى وبرز فيما بينها وبين الجدار قضيب من الفولاذ الأبيض اللامع، أمّا السيدة أوثربورن فاستطردَت: وكان الاتفاق أن أدور حول مؤخّرة السفينة في الطابق السفلي حيث ألتقي بالرجل الذي ينتظرني هناك، وفيما أنا سائرة انفتح باب إحدى المقصورات وأطلّ منه شخص، وكان هذا الشخص هو تلك الفتاة القتيلة لويز بورجيه، فقد كان يبدو عليها أنها في انتظار حضور أحد وعندما سمعَت وقع أقدامي حسبَتني هو، فلما تبيّنَت خطأها ظهرَت عليها أمارات الخيبة واختفَت داخل مقصورتها على الفور. لم أعلّق على المسألة أهمية لأنني أوّلتها التأويل الطبيعي بالنسبة لفتاة مثلها، فلما فرغتُ من مهمّتي وعُدت شاهدتُ شخصاً يطرق باب الفتاة وأنا عند المنعطف.

فقاطعها الكولونيل ريسي عندئذ قائلاً: وكان هذا الشخص...

وفجأة دوّت المقصورة بانفجار وامتلأت برائحة الدخان، فترنّحت السيدة أوثربورن ثم خرّت على الأرض بلا حراك وقد أخذ الدم يتدفق من ثقب وراء أذنها مباشرة! وتلَت ذلك لحظة صمت رهيبة تسمّر فيها كل إنسان في موضعه، وبعدها قفز ريسي وبوارو واقفَين، فانحنى ريسي فوقها في حين جرى بوارو خارجاً، ولكنه وجد سطح السفينة خالياً، إلاّ أنه عثر على مسدس ضخم وقد أُلقي على الأرض، فحملق إليه بوارو ثم تلفّت حوله ينظر إلى السطح الخالي، ثم أسرع إلى مؤخّرة السفينة فإذا به يصطدم عند المنعطف بالشابّ تيم آلرتون الذي كان قادماً بأقصى سرعة من الناحية الأخرى، فصاح تيم وهو يلهث: ما هذا بالله عليك؟

- ألم تقابل أحداً وأنت قادم؟

- لا أحد.

- إذن تعالَ معي.

وجذبه بوارو من ذراعه وعاد أدراجه ليجد جمعاً مكوَّناً من الآنسات روزالي وجاكلين وكورنيليا وقد خرجن مذعورات من مقصوراتهن، ومن الناحية الأخرى حيث قاعة المراقبة أقبل فيرغيسون وفانثورب والسيدة آلرتون، فقال بوارو لتيم آلرتون: هل معك قفّاز حتى أمسك به هذا المسدس؟ فتّش في جيبك عن قفاز.

- نعم، ها هو.

فتناول بوارو القفاز من يده فلبسه وانحنى يفحص المسدس، ثم فحصه الكولونيل ريسي والجميع من حولهما وكأن على رؤوسهم الطير، فقال ريسي بعد أن فرغ من فحصه: القاتل لم يهرب إلى جهة القاعة فقد كان فانثورب وفيرغيسون في تلك الجهة، فكان لا بدّ أن يبصراه في تلك الحالة يا عزيزي بوارو.

- وكان السيد تيم آلرتون سيراه لو أنه جرى إلى الجهة المقابلة.

- أظن أننا رأينا هذا المسدس من قبل يا عزيزي بوارو، ولكن يجب أن نتأكّد من ظنوننا أولاً.

* * *

طرق ريسي باب مقصورة بننغتون فلم يجِبه أحد لأن المقصورة كانت خالية، فاتجه ريسي نحو الخزانة ففتح أدراجها، ولمّا لم يعثر للمسدس على أثر التفت إلى بوارو وقال: هذا هو الدليل القاطع، والآن أين بننغتون نفسه؟

ثم خرجا إلى السطح حيث كانت السيدة آلرتون قد انضمّت إلى المجموعة فاتجه بوارو نحوها بسرعة ثم قال لها: سيدتي، خذي الآنسة أوثربورن إلى مقصورتك واشمليها برعايتك؛ فقد قُتلت والدتها.

وقال ريسي: أين بننغتون بالله عليكم؟! ابحثوا عنه. ألا توجد بصمات على هذا المسدس يا بوارو؟

- لا توجد أي بصمات أبداً.

وبعد قليل عثروا على بننغتون في الطابق السفلي جالساً في حجرة الجلوس الصغيرة منصرفاً إلى كتابة خطابات، فرفع رأسه الجميل الملامح وقال: هل من جديد؟

- ألم تسمع صوت إطلاق الرصاص؟

- أما وقد ذكّرتَني الآن فأعتقد أنني سمعت صوتاً يشبه ذلك، ولكن لم يخطر ببالي مطلقاً أن يكون في الأمر جريمة جديدة. من الضحية هذه المرة يا سيد بوارو؟

- السيدة أوثربورن.

فظهر الذهول على وجه الرجل وقال: السيدة أوثربورن؟! هذا أمر مذهل! أنا لا أتصور هذا مطلقاً. أظن أن فوق هذه السفينة شخصاً مجنوناً مصاباً بداء القتل، يقتل النساء فقط وبلا أسباب.

- كم قضيتَ من الوقت في هذه الغرفة؟

- نحو عشرين دقيقة.

- ألم تغادرها في تلك الأثناء؟

- لم أغادرها أبداً. ولكن لِمَ هذا السؤال؟

فحدّق ريسي إلى وجهه ثم قال بصرامة: لأن السيدة أوثربورن قُتلت بمسدسك.

فكاد بننغتون يُصعق وبدا عليه أنه لا يصدّق أذنيه فقال: الحق أن هذه مسألة خطيرة جداً!

- خطيرة جداً بالنسبة لك يا سيد بننغتون.

- بالنسبة لي أنا؟! لقد كنتُ جالساً هنا منصرفاً إلى الكتابة حينما انطلقت تلك الرصاصة الآثمة.

ثم هزّ رأسه كمن يريد أن ينفض عنه حلماً مزعجاً وقال: ولكن كيف يمكنني أن أصعد إلى السطح العلوي وأقتل هذه المرأة المسكينة بالله عليكم؟ ثم لماذا أقتلها؟! وبعد ذلك أهبط إلى هنا دون أن يراني أحد والممرّات والأسطح زاخرة بالركاب في هذا الوقت من النهار؟ هذا مستحيل!

- وكيف تعلل وقوع الجريمة بمسدسك؟

- في الواقع... الذنب في هذا ذنبي واللوم يقع على عاتقي وحدي؛ فقد حدثت مناقشة في أول ليلة من ليالي رحلتنا عن الأسلحة النارية، وأذكر أنني صرّحت في أثنائها أمام الجالسين في القاعة بأنني أحمل مسدساً في أسفاري دائماً.

- ومَن كان أولئك الحاضرون؟

- لا أستطيع أن أحدد بالضبط، ولكن كان هناك جمع كبير على كل حال، فالذنب ذنبي كما ترى.

ثم هز رأسه بحزن ودهشة قائلاً: أولاً لينيت، ثم خادمة لينيت، والآن السيدة أوثربورن. الواقع أنه لم يكُن يوجد سبب لتلك الجريمة.

- بل يوجد سبب يا سيد بننغتون.

- حقّاً؟

- نعم؛ ففي تلك اللحظة كانت السيدة أوثربورن على وشك الإفضاء إلينا بأنها رأت شخصاً معيَّناً يدخل مقصورة لويز بورجيه خادمة لينيت، وفيما هي تهمّ بذكر اسم ذلك الشخص أُطلقت عليها الرصاصة القاضية.

فتصبّب العرق من جبين بننغتون وراح يمسحه بمنديله الحريري وهو يتمتم: هذا فظيع!

عندئذ قال بوارو: لديّ رغبة تساورني منذ الصباح في أن أتناقش معك يا سيد بننغتون في بعض المسائل التي تتعلق بهذه القضية، لا سيّما وأنت صديق قديم حميم للسيدة لينيت دويل، فهل تتكرم بالحضور إلى مقصورتي بعد نصف ساعة؟

- بكل سرور.

ولكن لم يكُن بادياً أيّ شيء من السرور على وجه السيد بننغتون، فتبادل ريسي وبوارو النظرات وغادرا الحجرة إلى سطح السفينة. ولما وصل بوارو والكولونيل ريسي إلى سطح السفينة خرجت السيدة آلرتون من مقصورتها فاتجهت إلى بوارو قائلة: ألا توجد مقصورة مزدوجة أقيم فيها مع الفتاة المسكينة؟ فلا ينبغي أن تعود إلى المقصورة التي كانت تشارك فيها أمها، ومقصورتي ليس بها سوى سرير واحد كما تعلم.

- أعتقد أن هذا أمر يمكن تدبّره يا سيدتي.

- شكراً. أنا أشفق على هذه الفتاة، فضلاً عما تفرضه ظروفها علينا من رعايتها والعناية بها.

- ألا تزال حزينة متأثرة؟

- إلى أقصى حدّ! يبدو أنها كانت شديدة التعلق بأمها، ويعتقد تيم أن تلك السيدة كانت تُدمن الشراب، فهل هذا صحيح؟

- نعم، للأسف.

- إذن ليس لنا أن ندينها، ولكن لا شك أن الفتاة قد لقيت متاعب كثيرة في العيش معها.

- هذا صحيح فيما أعلم؛ فالفتاة شديدة الاعتزاز بنفسها، لكنها أيضاً مخلصة وفيّة لأمّها.

- لا ريب أن الوفاء هو الصفة الغالبة على هذه الفتاة، وقد أعجبني منها أن وراء ظاهرها المتحفظ باطناً يزخر بالطيبة والحنان والعطف.

- أحمد الله على أنني وضعت هذه المسكينة بين أيد أمينة يا سيدتي.

- لكَ أن تطمئنّ؛ فأنا معنيّة بها وهي متعلقة بي تعلقاً شديداً يحثّني على مزيد من العناية بها.

ثم عادت السيدة آلرتون بعد ذلك إلى مقصورتها وواصل بوارو السير إلى مسرح الفاجعة، فإذا كورنيليا لا تزال واقفة مع

جاكلين على سطح السفينة وقد اتسعت حدقتاها فبادرته قائلة: لا أزال عاجزة عن فهم هذه المسألة يا سيد بوارو؛ إذ كيف تسنّى للشخص الذي أطلق عليها الرصاص أن يهرب دون أن نراه؟!

قالت جاكلين: أجل، كيف حدث ذلك؟

- توجد ثلاثة اتجاهات يمكن أن يكون القاتل قد سلك أحدها، فليس الأمر غريباً كما تتوهمان.

فظهرت الدهشة والحيرة على جاكلين وقالت: ثلاثة اتجاهات!

أما كورنيليا فقالت: كان أمامه أن يتجه إلى اليمين أو اليسار، ولا أرى لهذين الاتجاهَين ثالثاً.

ولكن جاكلين أجابتها وقد انفرجت أساريرها: فهمتُ ما قصده السيد بوارو، إنه يعني أن القاتل كان يستطيع القفز من فوق السياج إلى السطح السفلي.

- لم يخطر لي ذلك، ولكن حتى لو كان سريع الحركة فهل يتسع أمامه الوقت للقيام بهذه المغامرة دون أن نراه؟

عندئذ قال تيم آلرتون: نعم؛ فدائماً ما تنتاب الناس دقيقة -على الأقل- من الشلل بعد سماع طلقة نارية.

- هل هذا ما شعرتَ به شخصياً؟

- نعم، لقد وقفت كالتمثال برهة قبل أن أتحرك لأرى ما حدث.

في تلك اللحظة خرج ريسي من مقصورة الدكتور بسنر فقال للواقفين: أرجو منكم التفرّق؛ فنحن نريد أن نُخرج الجثة.

فتفرّق الواقفون في حين مضى بوارو معهم لإخراج الجثة في حين قالت كورنيليا له: لن أنسى هذه الرحلة ما حييت. ثلاث قتيلات! كأنّي أعيش في كابوس مزعج لا خلاص منه.

وسمعها فيرغيسون فقال لها بلهجة هجومية: هذا لأنك مفرطة في التحضّر، وكان ينبغي أن تنظري إلى الموت كما ينظر إليه أهل الشرق، فالموت حادث عاديّ لا يكاد يستلفت النظر.

- أنتَ تنفّر الناس منك بالهذيان بعيوب الحضارة، ثم إن الموت شيء كريه، وموت كل جميل -على وجه الخصوص- كارثة وخسارة للبشرية.

- أنتِ امرأة صعبة المراس. اسمعي يا كورنيليا روبسون، أنت الأنثى الوحيدة التي حازت إعجابي، فهل تتزوجينني؟

- أنت أحمق.

- هذه خطبة حقيقية رغم أنها لم تتمّ بالطريق التقليدي، ولكن لدينا شاهد هو السيد بوارو، فاشهد يا سيد بوارو أنني طلبت يد هذه الأنثى رسمياً على الرغم من جميع مبادئي الخاصّة؛ فأنا لا أومن بالاتصال الشرعي بين الجنسَين، ولكنني لا أعتقد أن هذه الأنثى يمكن أن ترضى باتصال من غير الطريق الشرعي؛ ولهذا قبلتُ الوضع الذي تحتّمه الظروف.

ثم التفت إليها وقال: والآن يا كورنيليا قولي: قبلتُ.

- أنا أعتقد أنكَ مخبول!

- لماذا لا تريدين الزواج منّي بالله عليكِ؟

- لأنكَ لست جادّاً.

- أتعنين أنني لست جاداً في طلب يدك أم أنني لست إنساناً جادّاً بشكل عامّ؟

- أعني الاثنين معاً، ولكنني أعني طبعك وخُلقك على وجه الخصوص؛ فأنت تسخر من كل ما هو جدّي في الحياة، من التربية إلى الثقافة إلى الموت... أنت إنسان لا يُعتمَد عليه.

ثم احمرّ وجهها وأسرعت لائذة بمقصورتها، فجعل فيرغيسون يتتبعها بنظراته ثم قال: عليها اللعنة! أظنها تريدني فعلاً؛ فهي تريد أن أكون رجلاً يُعتمد عليه، ولكن هذا شيء مزعج حقاً. ما رأيك أنت يا سيد بوارو في هذه الفتاة؟

- أراها على جانب عظيم من الخُلق.

- أصبتَ؛ فهي ذكية، كما يبدو على ظاهرها الوداعة والليونة، ولكنها ليست ليّنة فشخصيتها صلدة لا تعرف اللين. ولكنني أريدها بأيّ ثمن، لذلك لست أرى غضاضة في التفاهم مع خالتها العجوز فان شويلر، فهذا هو الطريق السليم.

- أتطمع حقاً في أن تكسب ودّ الآنسة العانس فان شويلر؟

- آه، لا، أنا لم أفكّر في كسب ودّها، فهذا جهد لا فائدة

منه، وإنما طمعت أن أثيرها ضدي، فذلك خليق أن يرقّق قلب الفتاة عليّ.

ثم دار فيرغيسون على عقبَيه وانطلق نحو قاعة المراقبة حيث كانت فان شويلر جالسة في ركنها المألوف، وكانت حصّتها من العجرفة في هذا اليوم أكبر قليلاً من المعتاد، وكانت تحيك الصوف بإبرتين حينما اتجه فيرغيسون نحوها وفي أعقابه هيركيول بوارو الذي احتلّ مكاناً متوارياً على بُعد منها ثم تظاهر بالاستغراق في قراءة مجلة مصوَّرة في حين قال فيرغيسون لفان شويلر: طاب صباحك يا آنسة فان شويلر.

فرفعت فان شويلر عينيها عن الصوف لحظة واحدة لم تزِدها ثم تحولت ببصرها إلى إبرتها مرة أخرى وتمتمت بفتور: طاب صباحك.

- اسمعي، أنا أريد أن أتحدث إليكِ في أمر على جانب كبير من الأهمية، فالمسألة بالضبط أنني راغب في الزواج بابنة أختك.

فانتفضت كرة الصوف التي كانت في حِجر فان شويلر وانطلقت تجري وتقفز كالمجنونة إلى آخر قاعة المراقبة، أمّا فان شويلر نفسها فقالت بلهجة تقطر سمّاً ناقعاً: لا بدّ أنك فقدتَ صوابك أيها الشاب!

- لا، أبداً، فأنا مصمّم على الزواج بها، وقد طلبتُ يدها منها شخصياً منذ برهة وجيزة.

فقالت ببرود: حقاً؟ وإخالها قد صرفتك إلى حال سبيلك، أليس كذلك؟

- لقد رفضَتني، ولكنني لن أنصرف عن طلب يدها ولا أبرح عنها حتى تقبل.

- أؤكد لك أنني سأتخذ الإجراءات اللازمة لوقاية ابنة أختي الشابّة من مثل هذا التبجّح.

- وماذا يغضبك عليّ؟ ماذا لديك ضدّي؟

فرفعت فان شويلر حاجبَيها وجذبت الخيط جذبة قوية تريد أن تسترجع بها الكرة ولم تتفوه بكلمة فاستطرد: هيّا أخبريني، ماذا لديك ضدّي؟

- أظن أن المسألة غاية في الوضوح يا... أنا لا أعرف اسمك.

- فيرغيسون.

فقالت فان شويلر بكل استياء وتأفف: آه، يا سيد فيرغيسون. الموضوع الذي تشير إليه خارج عن نطاق البحث ولا يمكن أن يكون موضع نظر.

- أتعنين أنني لست كفئاً لها؟

- كنتُ أعتقد أن المسألة غاية في الوضوح بالنسبة لك على الأقل.

- ولماذا ترين أنني لست كفئاً لها؟ إن لي ساقَين وذراعَين

وصحّة من فولاذ وذهناً مرتَّباً قادراً على التفكير، فما عيب هذه المؤهلات؟

- يوجد شيء اسمه المركز الاجتماعي يا سيد فيرغيسون.

- المركز الاجتماعي؟! إنه خرافة قديمة متعفنة.

في تلك اللحظة فُتح الباب ودخلت كورنيليا فوقفت كالمصعوقة عندما وجدت خالتها المرهوبة الجانب تتحدث مع خاطبها المتهجم، أما فيرغيسون فالتفت نحوها وضحك ملء شدقيه ثم ناداها: أقبلي يا كورنيليا وأبشري، فأنا أطلب يدك للزواج على أقدم الطرق التقليدية كما ترين.

فقالت فان شويلر بصوت رهيب: كورنيليا! هل شجّعت هذا الشابّ حقاً؟

- أنا؟ لا، بالطبع لا، على الأقل ليس بالضبط.

- ماذا تعنين؟

فأسرع فيرغيسون يقول كي يخرجها من المأزق: إنها لم تشجعني أبداً. وكل ما في الأمر أنها لم تقف في وجهي، فلها قلب رقيق حقاً، ولكن خالتك يا كورنيليا تقول إنني أدنى منك اجتماعياً بكثير، فهل هذا رأيك؟

فقالت فان شويلر: هذا بديهي جداً لدى كورنيليا فيما أظن.

فاحمرّ وجه كورنيليا وقالت: لا، ليس هذا رأيي يا سيد

فيرغيسون، ولكن لو أنني كنت أحبك لتزوجتك بلا نظر إلى أيّ اعتبار.

- ولكنكِ لا تحبينني، أليس كذلك؟

- أنا أعتقد أنكَ مزعج ومثير للسخط؛ فآراؤك وأفكارك من أفظع وأقبح وأشأم ما سمعت، كما تزهو بها بتبجّح سخيف.

ثم ملأت الدموع عينيها فاندفعت خارجة، أما فيرغيسون فقال للآنسة فان شويلر وهو يضطجع في مقعده وينظر إلى سقف الغرفة ويصفر: على كل حال هذه بداية لا بأس بها، وسأستمر في مناداتك بخالتي العزيزة.

فأخذت فرائص فان شويلر ترتعد غضباً وصاحت: اخرج من هنا على الفور وإلاّ ناديت الخادم.

- لقد دفعتُ ثمن تذكرتي؛ فلا تستطيعون إخراجي من قاعة عامّة، ومع ذلك فأنا سأطيّب خاطرك يا خالتي العزيزة.

ثم وقف وراح يتبختر خارجاً وهو يصفر، فظلّت فان شويلر ترتعد بعد ذلك وتحاول الوقوف كي تحضر كرة الصوف ولكنها لم تستطع لفرط اضطرابها، فخرج السيد بوارو من عزلته وأسرع إليها بالكرة فقالت له: شكراً لك يا سيد بوارو، وأرجو أن تتكرم بإرسال الآنسة بويرز فأنا أشعر باضطراب ممّا سببه لي هذا الشابّ الوقح.

- إنه مجنون قليلاً فيما أعتقد، ومعظم أفراد هذه الأسرة

على شاكلته. هذا هو التدليل المفسد للطباع والتربية. أظنكِ عرفتِ شخصيته.

- عرفتُ شخصيته؟!

- إنه يسمّي نفسه فيرغيسون لأنه لا يريد أن يستخدم أو يحمل لقبه العتيد ليحافظ على مبادئه المتطرفة.

فوضعت فان شويلر الصوف في حجرها وحملقت إلى وجهه قائلة: لقبه العتيد؟!

- طبعاً، فهذا هو اللورد داوليش الشابّ. لقد ورث ملايين الجنيهات ولكنه اعتنق الشيوعية حين كان في أكسفورد.

وإذا بصفحة وجه فان شويلر تتحول إلى حلبة معركة تتصارع فيها شتّى الانفعالات المتعارضة، فلمّا استجمعَت أنفاسها وبلعت ريقها قالت: ومنذ متى تعرف هذه الحقيقة يا سيد بوارو؟

- لقد رأيتُ صورة له في بعض الصحف ففطنت إلى الشبه، ثم عثرت في أثناء تفتيش مقصورته على خاتم له منقوش على فصّه شعار أسرته، فالمسألة لا تحتمل الشكّ.

- أنا مدينة لك بالشكر على هذه المعلومات الثمينة.

عندئذ واتتها القوة فنهضت خارجة وقد طفح وجهها المتعجرف بالبِشر وأشرق بنور السعادة، فهزّ السيد بوارو رأسه مراراً ثم استغرق في التفكير.

بعد برهة دخل عليه ريسي فوجده ما زال جالساً في موضعه فقال له: والآن يا بوارو لم تبقَ إلا عشر دقائق ويحضر بننغتون لمقابلتك كما طلبتَ منه، وسأتركه لك.

فنهض بوارو واقفاً وقال: ولكن أرجو أن تحضر فانثورب إلى مقصورتي أوّلاً.

فأسرع ريسي ليبحث عن فانثورب، أما بوارو فاتجه نحو مقصورته الخاصّة حيث أتى ريسي ومعه فانثورب بعد دقيقة أو دقيقتين، فأشار بوارو إلى مقعد جلس عليه الشاب، ثم قال له: والآن يا سيد فانثورب لندخل في الموضوع. لقد لاحظت أنك تلبس ربطة عنق من النوع الذي يرتديه صديقي السيد هيستنغيز، وهذا النوع من أربطة العنق لا يلبسه في إنكلترا كل إنسان بل السادة المهذَّبون ذوو المكانة والتربية الحسنة، وبين تلك الأوساط -فيما أعلم- تقاليد تقضي بفعل أشياء والامتناع عن أشياء أخرى، ومن يلبسون هذا النوع من أربطة العنق لا يمكن أن يقحم الواحد منهم نفسه في حديث خاصّ مع أشخاص لم يعرفهم وبغير سؤال يوجَّه إليه.

فدُهش فانثورب في حين أردف بوارو قائلاً: ولكنني رأيتك بنفسي تُقدم على هذه الهفوة منذ أيام، فقد كان جماعة من الركاب جالسين في قاعة المراقبة يتحدثون حديثاً خاصّاً جداً في مسائلهم المالية، فإذا بك تتسلل حتى تقف بالقرب منهم بقصد استراق السمع ثم تتجاوز ذلك إلى توجيه إطراء صريح إلى السيدة لينيت دويل لما تتمتع به من فطنة في إدارة الأعمال.

فامتقع وجه فانثورب ثم احتقن، ولكن بوارو لم يأبه له بل

استطرد: والآن يا سيد فانثورب لم يكُن هذا التصرف ممّا يتفق مع ربطة العنق التي يرتدي مثلها صديقي السيد هيستنغيز؛ فالسيد هيستنغيز رجل مهذَّب لبق رقيق يموت وجلاً وخزياً ولا يُقدم على مثل ذلك الذي أقدمت عليه. هذه واحدة. أما الأخرى فهي أنك شابّ حديث العهد بالمحاماة ولم تؤسّس لنفسك فيها مركزاً يسمح لك بقضاء مثل هذه الإجازة الباهظة التكاليف، ومتى؟ إبّان الموسم القضائي في فصل الشتاء. يضاف إلى ذلك أنك مُلحَق بمكتب للمحاماة في الريف؛ فلا يُحتمل أن تكون أتعابك أو أجرك كافياً لهذه المظاهر، ولا يبدو عليك أثر مرض حديث العهد حتى تقول إنك أتيت إلى هنا للنقاهة عملاً بمشورة الأطباء. لقد تساءلتُ، وها أنا ذا أسألك: لماذا قمتَ بهذه الرحلة النيلية إلى وادي حلفا؟

فطرح جيم فانثورب رأسه إلى الوراء في تحدٍّ قائلاً: أنا أرفض إمدادك بأيّ معلومات يا سيد بوارو، وأعتقد أنك لا بدّ أن تكون مجنوناً في الواقع.

- أنا لست مجنوناً بل أنا عاقل جداً، وأنا الآن أساعدك قليلاً على توضيح موقفك فأقول لك أين يقع المكتب الذي تنتسب إليه. إنه يقع في نورثامبتون، وهو مكان غير بعيد عن قصر وود هول، وأقول لك إن موضوع الحديث الذي اجتهدتَ في استراق السمع إليه هو وثائق تمليك وما إلى ذلك، وكذلك الملاحظة التي أطريتها (ولا يفوتني أن أقول إنك كنتَ مرتبكاً جداً وأنت تفعل ذلك لشعورك بالحرج) هي ملاحظة من شأنها منع لينيت دويل من توقيع أيّ وثيقة دون قراءة.

ثم نظر بوارو في عينَيه مباشرة واستطرد: وفوق هذه السفينة وقعت جريمة قتل تلَتها جريمتان في سرعة فائقة، فإذا أُضيف إلى ذلك أن السلاح الذي قُتلت به السيدة أوثربورن هو المسدس الخاصّ بالسيد بننغتون فلعلّك ترى أن من واجبك الآن أن تُطلعني على ما لديك من معلومات لمساعدة العدالة.

- الواقع أن لك طريقة غريبة في تناول الأمور يا سيد بوارو، وأنا مقدّر لدقّة المسائل التي أشرتَ إليها، ولكن ليس لديّ مزيد من المعلومات الأكيدة أضيفه إلى ما لديك.

- أتعني أن ما لديك هو محضُ ظنون وشبهات؟

- هذا ما أعنيه فعلاً.

- ولهذا تعتقد أنه من غير المناسب أن تُفصح عنها. قد يكون ذلك صحيحاً في ساحات المحاكم يا سيدي المحامي، أمّا هنا ونحن نقوم بتحقيق للكشف عن سر الجريمة فكل شعاع صغير من الضوء يجب أن ينال حظه من التقدير حتى نصل إلى اليقين.

- أظنك على صواب. ما الذي تريد معرفته يا سيد بوارو؟

- ما الدافع لك للقيام بهذه الرحلة؟

- خالي السيد كارمايكل هو المحامي الإنكليزي الذي يتولّى قضايا لينيت دويل في بريطانيا، وهو الذي أرسلني إلى هذه الرحلة لأنه لاحظ في المدّة الأخيرة أشياء أدّت إلى الارتياب في الوصيّ الأمريكي السيد بننغتون. فعندما تزوجَت

الآنسة لينيت بالسيد سيمون دويل فجأة وبدأت رحلة شهر العسل في مصر على الفور اطمأنّ خالي إلى أنه بمجرَّد عودتها إلى إنكلترا ستتسلم أموالها من يد أوصيائها، وفي ذلك قضاء على ما كان يساوره من شكوك، ولكنه تسلّم خطاباً من لينيت دويل بعثَته إليه من القاهرة ورد فيه عرَضاً إشارة إلى أنها التقت بوصيّها الأمريكي السيد بننغتون هناك مصادفة؛ فثارت شكوك خالي من جديد ورسخ في ذهنه أن بننغتون ربما أقدم على هذه الرحلة المريبة مدفوعاً باليأس الذي أوقعه فيه زواج السيدة المفاجئ، وخشي (بل أيقن) أنّ تلاعبه وسوء إدارته للتركة سينكشف، ومن شأن اليائس أن يُقدِم على عمل جنوني فلا يتورع عن شيء.

ثم أخذ نفساً عميقاً قبل أن يستطرد قائلاً: وأَحبّ خالي أن يتبين الحقيقة، ولم يشأ أن يرسل في هذه الرحلة شخصاً تعرفه السيدة فوجد من الأصوب أن يرسلني أنا بالطائرة، وقد أعطاني تعليمات مشدَّدة بوجوب الحذر والحيطة وعمل كل ما في وسعي للحيلولة بين بننغتون والحصول على توقيعات من لينيت دويل على وثائق بغير فحص كافٍ، وكان هذا سبب حضوري، وهو أيضاً سبب هذا المسلك الذي أشرتَ إليه. ولكنني غير نادم لأنني ظفرت بالثمرة التي كنتُ أرجوها.

- أتعني أنك وُفّقت إلى تحذير لينيت؟

- ليس هذا بالضبط، فلم تكُن بحاجة إلى مزيد من التحذير أو الحيطة في الواقع، ولكنني بملاحظتي نبّهت بننغتون إلى وجود مَن يقف له بالمرصاد، وبذلك غيّر خطته وعدل عن

الحصول على توقيعاتها. وفي الواقع كنت أعتزم القيام بتحذير واضح، ولكن تبيّن لي أن بننغتون له منزلة خاصّة تشبه الأبوّة لدى لينيت دويل، فخطر بذهني أن أتصل بسيمون دويل لهذا الغرض لأنه أسهل تناولاً عن زوجته.

- والآن هل تجيبني عن سؤال شخصي؟ بحسب رأيك وتقديرك: إذا أراد محتال أن يفوّت شيئاً على آل دويل فمَن الذي يختاره فريسة سهلة؟ أهو السيد سيمون دويل أم زوجته؟

- السيد دويل طبعاً؛ فقد كانت لينيت حصيفة حريصة، أما زوجها فهو ساذج يجهل أصول إدارة الأعمال ولا يمتنع عن التوقيع حيث يُطلَب منه دون مناقشة أو تمحيص.

- هذا رأي صائب، وهذا دافع حسَن للقتل فيما أظن.

- ربما، ولكن ليس لديك دليل.

- بل يمكننا الحصول على الدليل.

- ممّن؟ وكيف؟

- من بننغتون نفسه.

- أنا أشكّ في هذا كثيراً.

- على كل حال نحن ننتظر قدومه الآن يا سيد فانثورب.

أدرك فانثورب مغزى هذه الإشارة فاستأذن منصرفاً، وبعد دقيقتين ظهر السيد أندرو بننغتون والابتسامة تملأ صفحة وجهه، ولكنها كانت ابتسامة متكلَّفة. وبعد تبادل التحية جلس

ثم نظر إلى بوارو والكولونيل ريسي نظرة تساؤل فقال بوارو: لقد طلبنا منك الحضور -يا سيد بننغتون- لأن من الواضح أن لك مصلحة كبيرة في هذه القضية؛ فأنت تعرف لينيت دويل منذ كانت طفلة فيما أعتقد.

- الحقيقة أنني عرفتها من قبل منذ نعومة أظافرها كما قلت.

- وهل كنتَ صديقاً حميماً لوالدها؟

- بلا ريب، لقد كنّا على اتصال وثيق وصداقة متينة.

- إلى درجة أنك عُيّنتَ في وصيته وصيّاً على ابنته وعلى ثروتها الطائلة، أليس كذلك؟

- هذا كله صحيح إجمالاً، ولكنني لم أكُن الوصيّ الوحيد بالطبع، بل كان معي في تلك المهمة شركاء.

- ماتوا جميعاً وبقيتَ أنت وحدك بعد ذلك، أليس كذلك؟

- مات اثنان منهم وبقي على قيد الحياة السيد روكفورد.

- شريكك في المكتب وفي التجارة، أليس كذلك؟

- بلى، هو كذلك.

- أعتقد أيضاً أن الآنسة لينيت ريدغواي لم تكُن قد بلغت سن الرشد حين تزوجَت فجأة، أليس كذلك؟

- بلى، فهي لن تبلغ الحادية والعشرين إلا في حَزيران (يونيو) المقبل.

- ولو سارت الأمور على ما هي عليه لما كان من حقها أن تتسلم ثروتها قبل ذلك التاريخ، أليس كذلك؟

- بلى، ليس لها حق استلام ثروتها قبل ذلك التاريخ.

- ولكن زواجها المفاجئ غيّر مجرى الأمور وقلب الأوضاع.

- ما الذي تهدفان إليه من كل هذه الأسئلة بربكما؟

- أنت رجل ذكي يا سيد بننغتون، فلدينا مسألة الدافع إلى الجريمة، ولا يمكن إغفال الاعتبارات المالية عند معالجة هذه المسألة.

- وصيّة ريدغواي تنصّ على أن تتسلم لينيت ثروتها عند بلوغها الحادية والعشرين أو بمجرد زواجها إذا تزوجت قبل ذلك التاريخ بلا قيد ولا شرط.

- وثروتها تقدَّر بالملايين فيما أعتقد.

- أجل.

- وأعتقد أن مسؤولياتك أنت وشريكك كانت ثقيلة جداً في هذه السنوات يا سيد بننغتون.

- نحن معتادان على المسؤولية في عملنا فلا تسبّب لنا القلق.

- أنا أعجب ممّا تقول.

- ماذا تعني بالله عليك؟!

- إن عجبي راجع إلى تقديري أن ذلك الزواج المفاجئ لا بدّ أنه قد أحدث ارتباكاً في خطط مكتبك.

- أعمال المكتب على أكمل وجه.

- ألم يتملكك الانزعاج عندما وصلَت إليك أنباء زواج لينيت ريدغواي، حتى إنك سافرت في أول باخرة إلى مصر حيث تصنعتَ الالتقاء بها على وجه المصادفة؟

- إن ما تقوله هو الهذيان بعينه يا سيد بوارو! أنا لم أكن أعلم بزواج لينيت قبل وصولي إلى القاهرة ولذلك دُهشت دهشة تامّة، ولا بدّ أن خطاب لينيت وصل إلى نيويورك بعد سفري، وقد حُوّل إليّ فتسلمته بعد أسبوع في القاهرة.

- تقول إنك حضرت على ظهر الباخرة كارمانك، هل هذا صحيح؟

- نعم.

- وإن الخطاب وصل إلى نيويورك بعد إقلاعك منها، أليس كذلك؟

- لقد كررتُ هذا مراراً من قبل.

- هذا من أعجب العجب؛ فحقائبك لا تحمل أيّ بطاقة من بطاقات كارمانك، بل بطاقات الباخرة نورماندي التي أبحرَت من نيويورك بعد إبحار كارمانك بيومين.

ظهرت الحيرة على وجه بننغتون وبدأ يترنح فاستطرد

بوارو قائلاً: لا جدوى من الإنكار. لقد تسلمتَ خطاب لينيت ريدغواي في نيويورك.

- يبدو أنه ليس أمامي إلا التسليم؛ فقد غلبني ذكاؤكما. ولكن الواقع أنه كانت لديّ دوافع كافية لسلوك هذا المسلك أيها السادة.

- ونحن في شدّة الشوق لمعرفة هذه الدوافع.

- في الواقع يسوؤني أن أقول إنني لاحظت في المدّة الأخيرة شيئاً من الاضطراب المريب في أعمال لينيت التي يتولاّها محاميها في إنكلترا، وعلّلتُ نفسي بقرب بلوغها سنّ الرشد، ولكنني فوجئت بذلك الزواج المباغت برجل إنكليزي مجهول فأردت اكتشاف الحقيقة بنفسي دون إزعاج للينيت، ولم أجد من اللائق أن أُقحِم عجوزاً مثلي في شهر عسل شابَّين لأسباب مالية بعيدة كل البعد عن ذلك الجوّ العاطفي، ولم يهدِني تفكيري إلى خيرٍ من هذه الطريقة في اصطناع المصادفة، فدوافعي جميعها نزيهة بعكس ما ذهبتما إليه.

- الحقيقة أننا لا نصدّق حرفاً واحداً من كلامك يا سيد بننغتون.

- سيّان عندي أن تصدّقا أو لا تصدّقا.

- نحن نعتقد أن زواج لينيت المفاجئ أطاش صوابك بسبب اضطراب إدارتك المالية لتركتها فقرّرتَ الحضور على عجل للبحث عن مخرج لك بأيّ شكل، وفكّرتَ في الحصول على توقيعها على وثائق أعددتَها لهذا الغرض معتمداً على أن

انشغالها بشهر العسل سوف يمنعها من التدقيق في الاطلاع على الوثائق قبل التوقيع، فلمّا خاب أملك افتعلتَ سقوط الصخرة ونحن على الشاطئ أمام معبد أبي سنبل كي تسحقها، ولكنها نجت بأعجوبة.

- أنت مخبول!

- ثم سمحَت لك ظروف أخرى بالقضاء على لينيت دويل في أثناء العودة من وادي حلفا ثم تُلقي الشبهة على شخص آخر، وقد ثبت لنا يقيناً أن مسدسك هو الذي انطلقت منه الرصاصة التي قتلت السيدة أوثربورن وهي على وشك الإفضاء باسم قاتل لينيت، ثم لويز.

عندئذ ثارت ثائرة بننغتون فصاح: ما هذا الهذيان؟! وأيّ سبب يدعوني لقتل لينيت؟ أنا لا أطمع في أن أرثها حتى أقتلها، بل يرثها زوجها، فلماذا لا تأخذان بخناقه؟

- سيمون دويل لم يغادر القاعة طَوال السهرة التي قُتلت خلالها زوجته، ثم رقد بعد ذلك بقيّة الليل مكسور الساق محقوناً بالمورفين في مقصورة الدكتور بسنر. ولهذه الاعتبارات جميعاً يستحيل أن يكون هو قاتل زوجته، وأنت إذا استخدمتَ ذكاءك وكنت في مكاني -يا سيد بننغتون- لوجدتَ أن الزوج الوارث الطيّب القلب الذي يوقّع الأوراق دون تمحيص أسلس قياداً من الزوجة الذكية الحصيفة، فمن مصلحة الوصيّ المتلاعب المختلس أن تموت الزوجة ويرث الزوج مالها ليوقّع الأوراق التي ما كانت هي لتوقّعها.

ثم أخذ نفساً عميقاً قبل أن يستطرد قائلاً: وبذلك يحصل الوصيّ على تسوية لحساباته تنقذه من السجن والإفلاس، وإن كانت نتيجتها خسارة قد تصل إلى مئات الألوف تتحملها تركة ريدغواي، ويُضاف إلى ذلك أن سيمون دويل يجهل كل شيء عن أعمال زوجته المتشعبة وممتلكاتها، فهذا خليق أن يطلق يدك في إدارة التركة كما كنت.

عندئذ هزّ بننغتون كتفيه ثم قال: أقسم إنني تعثرت فإذا بالحجر يسقط مصادفة، ولا يوجد أيّ إثبات ضدّي.

- ربما.

فنهض وقد عاوده شيء من التجلّد ثم خرج.

* * *

الفصل التاسع

ما إن انصرف بننغتون حتى نظر الكولونيل ريسي إلى وجه بوارو قائلاً له: ألديك خطة لِما يجب أن نفعله بعد ذلك؟

- نعم، لدينا أولاً ما حدث في حديقة أسوان، ثم شهادة تيم آلرتون، ثم زجاجتا طلاء الأظافر، ثم زجاجة شرابي أنا، ثم الشال القطيفة، ثم المنديل الرخيص الذي به أثر الطلاء الأحمر، ثم المسدس الذي تُرك في مكان الجريمة، ثم وفاة لويز، ثم وفاة السيدة أوثربورن.

- وبناء عليه؟

- وبناء عليه لم يقترف بننغتون أي جريمة يا ريسي.

- ماذا تقول؟!

- أقول إن بننغتون لم يقترف الجريمة. نعم، كان لديه دافع قوي وكانت لديه رغبة قوية وصلت به إلى حد المحاولة أمام معبد أبي سنبل، ولكن إلى هنا ينتهي دوره؛ فاقتراف هذه الجريمة كان يلزم له شيء لا يتوافر لدى بننغتون.

- وما هو؟

- تحتاج هذه الجريمة إلى جرأة ووقت وسرعة ودقّة في التنفيذ وحيطة وشجاعة ولامبالاة بالخطر وإحكام للخطة، وصاحبنا بننغتون ليست لديه هذه الصفات، فإذا قدّرنا أن الجريمة لم تكُن مأمونة العاقبة بل محفوفة بالخطر مهدَّدة بالافتضاح في أيّ لحظة ولأيّ سبب خارج عن إرادة مرتكبها لعرفنا مبلغ حاجة مدبّر الجريمة لكثير من الشجاعة، وليس بننغتون بالرجل الشجاع المقدام.

- يُخيل إليّ أن القضية كلها أصبحت واضحة مرتَّبة في ذهنك يا بوارو، أليس كذلك؟

- أظن ذلك، فيما عدا بعض الثغرات.

- وما هي؟

- أعني تلك البرقيّة التي قرأَتها لينيت دويل.

- أجل، لقد نسينا أن نسأل سيمون، وقد كان على وشك أن يخبرنا بمضمونها حينما اقتحمَت السيدة أوثربورن المسكينة الغرفة علينا. يجب أن نُعيد سؤاله.

- ولكن يجب أن أتحدث إلى تيم آلرتون أولاً.

وما هي إلا لحظات حتى كان الكولونيل قد عثر على تيم آلرتون وجاء به، فقال له بوارو: كل ما أريده منك الآن أن تُصغي إلى ما أقول.

- إذن فقد وجدتَ مَن تريد؛ أنا أحسن خلق الله إصغاء.

- عظيم، لنبدأ الآن. حينما التقيتُ بك وبوالدتك في أسوان راقتني صحبتكما كثيراً لأنني وجدتُ في والدتك شخصية من ألطف الشخصيات التي التقيت بها في حياتي، ولكن كان لديّ سبب آخر لمداومة الجلوس إليكما، وهو أن إشارتك إلى إحدى السيدات في تلك المقابلة الأولى قد أثارت اهتمامي، وأعني بها الآنسة جوانا ساوثوود. ولعلك تتساءل عن سبب اهتمامي بها، والحقيقة هي أنني في السنوات الثلاث الأخيرة عرفت أن حوادث سرقة الجواهر الثمينة قد وقعت في مجتمعات لندن وقامت لها إدارة سكوتلانديارد وقعدت، فاتضح أن هذه السرقات تقوم بها عصابة بوسيلة لا تتغير هي إبدال الجواهر الثمينة بشبيهة بها متقَنة التقليد، ودلّت جميع الظروف على أن من يقومون بهذه العمليات أشخاص ممّن يحتلون مراكز اجتماعية طيبة، ثم اتجهت ظنون صديقي كبير المفتشين الجنائيين إلى الآنسة جوانا ساوثوود؛ فقد كان جميع ضحايا هذه السرقات إمّا من أصدقائها أو معارفها.

ثم أشار بسبابته وهو يقول: وفي جميع الأحوال اتضح أن الآنسة إما أن تكون قد تناولت الجواهر المسروقة قبل ذلك بيديها لمشاهدتها أو أن تكون قد استعارتها بعض الوقت، ثم تبيّن أيضاً أن مستوى معيشتها ونفقاتها يتجاوز طاقة دخلها الخاصّ بكثير. ولكن كان واضحاً أيضاً أن عملية الإبدال نفسها لا تتمّ بيدها شخصياً؛ ففي بعض الأحوال يتفق غيابها عن إنكلترا في المدّة التي لا بدّ أن تكون عملية الإبدال قد تمّت فيها، وشيئاً فشيئاً تكوّنَت صورة تامّة لهذه العمليات في ذهن صديقي كبير المفتشين، وبمقتضى هذه الصورة تكون الآنسة

جوانا عضواً في جماعة لسرقة الجواهر عن طريق الإبدال؛ فهي تُتيح للشركاء تقليد الجواهر ذلك التقليد المتقَن، أما عملية الإبدال نفسها فيقوم بها عضو آخر من أعضاء العصابة يكون من الثابت المقطوع به أنه لم يمسّ الجواهر الأصلية. ولكن صديقي كبير المفتّشين لم تكُن لديه أيّ معلومات تحدّد له شخصية ذلك الشريك المجهول.

ثم أخذ نفساً عميقاً قبل أن يستطرد قائلاً: وقد لفتَت نظري سقطات في حديثك، منها الخاتم الذي فقدَته تلك السيدة في جزيرة ماجوركان، وأنك كنت حاضراً في الحفلة التي اكتُشفت فيها حقيقة جواهر إحدى السيدات وكيف أنها جواهر مزيَّفة، فإذا أُضيف ذلك إلى صلتك الوثيقة بالآنسة جوانا رغم نفور والدتك الظاهر منها، وأنك تضيق بصحبتي وكثيراً ما ضغطتَ على والدتك كي تصدّني، فقد حاولتُ أن أستشفّ ما وراء ذلك، وإذا بنا نعلم بعد مقتل لينيت دويل أن لآلئها الثمينة قد سُرقت وحلّ محلّها تقليد متقَن لها، فاتجه ذهني إليك وعلمتُ أنك أنت الذي قمتَ بهذه العملية بعد أن زودَتك الآنسة جوانا بالعقد المزيَّف.

تريّث بوارو برهة وهو يحدّق إلى وجه تيم، فإذا بالشابّ قد اكفهرّ وجهه حتى حاكى وجوه الموتى، ولكنه تحامل على نفسه وسأله: وإذا كان ذلك صحيحاً فماذا صنعتُ بالعقد الأصلي؟

- لستُ أجهل ماذا صنعتَ به. يوجد مكان واحد تستطيع أن تخفيه فيه وقد هداني تفكيري إليه؛ هذه اللآلئ -يا سيد آلرتون- مخبَّأة داخل حبات المسبحة ذات الحبّات الخشبية

الكبيرة المجوَّفة المنقوشة المعلَّقة في مقصورتك، وقد استعنتَ بأنبوب السيكوتين اللاصق الموجود لديك كي تتمّ تلك العملية، وقد حرصتُ وأنا أفتّش الحجرة على أن أبحث عن الوسيلة التي بواسطتها أرسلت إليك الآنسة جوانا ساوثوود العقد المزيَّف، فعثرتُ على كتاب ضخم وصل إليك بالبريد الأخير من لندن وقد نُقِبت صفحاته نقباً كبيراً من وسطها فصارت كالصندوق المحكَم، وقد تأكدتُ من الحديث معك ومع والدتك أن الكتب تصلك بالبريد دون أن تفتحها الجمارك لأنها تكون مفتوحة من أعلى وأسفل عند الشحن.

ساد الصمت لحظة، ثم بلِع تيم ريقه وقال بصوت متحشرج: لقد كانت الخطة مُحكَمة وكانت تؤتي ثماراً طيبة باستمرار، ولكنك هتكتَ أستارها أخيراً فلم يبقَ أمامي إلا أن أنال جزائي.

- ولكن هل تدري أنك شوهدت تلك الليلة؟

- ماذا تقول؟ من الذي شاهدني؟

- شاهدك أحدهم وأنت خارج من مقصورة لينيت دويل في تلك الليلة بعد الساعة الواحدة صباحاً.

فقفز تيم مرتعداً وهو يقول: لا أظنك تتهمني بقتلها! أقسم لك إنني لم أقتلها. لقد كنتُ في أشدّ حالات العذاب منذ علمتُ بمصرعها، وكنتُ أسبّ سوء طالعي الذي جعلني أختار تلك الليلة من دون الليالي جميعاً لإتمام العملية. يا إلهي كم قاسيت!

- أنا أصدّقك، ولكن أريد منك أن تساعدنا ما دامت الحقيقة قد عُرفت. هل كانت السيدة دويل حية أم ميتة حين كنتَ في مقصورتها؟

- لست أدري، وأقسم بالله إنني لا أدري؛ فقد تسللتُ إلى موضع الجواهر بغاية الخفّة فاختلستُها ثم وضعت العقد الآخر في مكانها وأنا أظن أنها نائمة بالطبع.

- هل سمعتَ تنفسها؟ لقد حاولتَ أن تتسمعه طبعاً، فهل سمعتَه؟

جعل تيم يفكّر قليلاً ثم قال: كان الصمت سائداً إلى أقصى حد. لا، لا أذكر أنني سمعت تنفسها وأنا هناك.

- هل كانت في جو الحجرة رائحة كرائحة الدخان؟

- لا أظن، لا أذكر.

- إذن فنحن لم نتقدم في بحثنا للأسف.

- ولكن مَن الذي رآني خارجاً من هناك تلك الليلة؟

- روزالي أوثربورن؛ فقد كانت على سطح السفينة من تلك الجهة حين رأتك تخرج من هناك وتتسلل إلى مقصورتك.

- إذن هي التي وشت بي.

- لا، هي لم تتعرف عليك.

- كيف عرفتَ إذن؟!

- لأنني هيركيول بوارو؛ فلا حاجة بي إلى أن يخبرني أحد، وعندما واجهتُها بما عرفتُ أصرّت على الإنكار.

- ولكن لماذا؟

- ربما لأنها ظنت أن الذي رأته هو القاتل، وهي معذورة في ذلك الظن.

- هذا سبب أدعى لأن تخبرك عنّي.

- يظهر أن هذا ليس رأيها في المسألة.

هزّ تيم آلرتون كتفَيه ثم قال: لقد أوقعتَني في الفخّ وستجد اللآلئ حيث ذكرتَ، ولكني لا أعترف ضد الآنسة ساوثوود بأيّ شيء وليس لديكم أيّ دليل ضدّها، أمّا كيف حصلتُ على العقد المزيَّف فذلك شأني وحدي.

- إنه تصرّف سليم وكريم، ولكن انتظر لحظة حتى أبعث في طلب الآنسة روزالي أوثربورن. أجل، لا مناص من هذا.

وبعد لحظة كانت روزالي قد حضرت وقد تورّمَت عيناها من كثرة البكاء، فلمّا أبصرَت تيم آلرتون هناك اتسعَت حدقتاها بعض الشيء ثم جلست تنقل بصرها بين بوارو وريسي، فقال بوارو: للأسف الشديد اضطُررنا لإزعاجك كي نستوضح بعض النقاط، فعندما سألتُك هل رأيتِ أحداً في تلك الليلة أجبتِ بالنفي، ولكنني تمكنت من الوصول إلى الحقيقة عن غير طريقك لحسن الحظ؛ فقد اعترف السيد آلرتون بأنه كان

في مقصورة لينيت دويل في تلك الليلة، أليس كذلك يا سيد آلرتون؟

وعندئذ صاحت روزالي مأخوذة: ولكنك لم...

- أجل، لم أقتلها. أنا لصّ ولكنّي لست قاتلاً، وسيفتضح كل شيء بعد قليل فلا ضير في أن تعرفي أنتِ أيضاً. لقد كنتُ أسرق جواهرها، هذا هو تخصصي.

عندئذ قال بوارو: تقوم رواية السيد آلرتون على أنه تسلل تلك الليلة إلى حجرة السيدة دويل فأخذ العقد النفيس ووضع مكانه عقداً مزيَّفاً يشبهه كل الشبه، وتتفق هذه الرواية مع شهادتك وشهادة الآنسة فان شويلر من حيث التوقيت اتفاقاً جزئياً في الاتفاق الخاصّ بوجوده هناك في ذلك الوقت، ولكن لا يوجد دليل على غرضه من تلك الزيارة المريبة، فمَن يدرينا أنه لم يقتل السيدة دويل في سبيل الحصول على جواهرها؟ وربما فعل ذلك مضطراً لأنها تنبهَت لوجوده؛ فيوجد فرض لا بأس به نظرياً خلاصتُه أنه ربما شهد خلسةً منظر المشاجرة بين جاكلين دي بلفور وسيمون دويل في قاعة المراقبة، فلمّا سنحت الفرصة التقط مسدسها من تحت المقعد واقترف به الجريمة.

شحب وجه آلرتون وكاد يُغشى عليه، فأردف بوارو موجهاً الحديث إليه: ولكنّ فتاةً رأتك، فتاة غير الآنسة أوثربورن، وهي الخادمة لويز. وفي الصباح ذهبَت إليك وهدّدَتك بالفضيحة إذا لم تدفع إليها مبلغاً كبيراً، فتظاهرتَ بالقبول ووعدتَها بزيارتها في مقصورتها عندما يدقّ جرس الغداء، ثم ذهبتَ إليها

بالمبلغ، وعندما كانت هي تُحصيه طعنتَها في قلبها فقتلتَها، ولكنّ سوء الحظ لازمك؛ فقد رأتك امرأة أخرى وأنت خارج من مقصورة الخادمة، وهي السيدة أوثربورن.

ثم نظر بوارو بحدّة إليه قبل أن يقول: وتحتّم عليك مرة أخرى أن تبادر بالعمل قبل أن ترشدنا هذه السيدة إليك، وكنتَ قد سمعت من بننغتون أنه يحمل معه مسدساً ضخماً في جميع أسفاره، فأسرعتَ إلى مقصورته واستوليتَ على المسدس ووقفتَ تتسمّع عند باب مقصورة الدكتور بسنر، وفي اللحظة المناسبة صرعتَ السيدة أوثربورن برصاصة صائبة.

فصرخت روزالي أوثربورن: لا، لا، إنه لم يقتلها، ليس هو القاتل.

فقال بوارو: ثم أقدمتَ بعد ذلك على المسلك الوحيد الذي كان أمامك أن تسلكه، فقد درتَ حول مؤخرة السفينة، فلمّا جريتُ أنا في ذلك الاتجاه درتَ على عقبَيك وتصنّعتَ أنك قادم من الجهة الأخرى، وكنتَ قد أطلقت الرصاص بقفّاز كان في جيبك في ذلك الوقت فأخرجتَه عندما طلبتُه منك.

- أقسم بالله العظيم إنه ليس فيما قلتَ حرف واحد صحيح.

عندئذ فطنَت روزالي إلى الحقيقة فهدّأت من روع تيم قائلة: هذا طبعاً غير صحيح، والسيد بوارو يعرف هذا ولكنه يقول هذا الكلام لغرض في نفسه.

- الحق أن الآنسة شديدة الذكاء؛ فأنا أعلم فعلاً أن هذا غير صحيح، ولكن أليس هذا الفرض معقولاً وكفيلاً بالإطباق

على عنقك يا تيم آلرتون؟ والآن سأقول لك شيئاً لم تسمعه من قبل: أنا لم أفحص مسبحتك حتى الآن، وقد لا أجد بداخلها شيئاً إذا تركتُك الآن ربع ساعة أو نحو ذلك ثم ذهبتُ لأفحصها، ولمّا كانت الآنسة روزالي لا تزال مصممة على أنها لم ترَ أحداً تلك الليلة فقد انهدمَت جميع الأدلة التي تدينك، وسوف يُقال إن الشخص الذي سرق اللآلئ سيدة عجوز مصابة بداء السرقة وإن الجواهر قد أُعيدت بسلام إلى هذا الصندوق الذي قد يروقك أن تأخذه معك أنت والآنسة كي تفحصا معاً العقد الذي بداخله في ربع الساعة القادم خارج هذه القاعة.

فوثب تيم آلرتون وصاح: شكراً لك... لقد منحتني الحياة.

وبسرعة البرق جذب روزالي من ذراعها وحمل الصندوق الصغير ثم خرجا من القاعة، فلما صارا وحدهما قال تيم لروزالي: هذا الرجل طيب القلب جداً، وعندما نُعيد هذا الصندوق إليه سيكون بداخله العقد الصحيح بدلاً من هذا العقد المزيف.

- ولكن لماذا فعلتَ ذلك؟

- الفراغ والسأم.

- ولكنك لن تُقدم على ذلك مرة أخرى، أليس كذلك؟

- بلى، ولكن لماذا أبيتِ أن تذكري أنكِ رأيتِني؟

- لأنهم قد يظنّونَك القاتل.

- ألم تظنّي أنني القاتل؟

- ما ظننت لحظة أنك يمكن أن تقتل أحداً.

- صدقتِ؛ فلستُ قاتلاً ضارباً بل أنا سارق جبان.

فوضعَت يدها فوق فمه وقالت: لا تقُل هذا.

فقبّل تلك اليد وقال: أنتِ تعرفين من أنا، وأنتِ وحدكِ المطّلعة على السر، فهل تقبلين...؟ أنت تعرفين ماذا أعني؟ أم تُراك ستحتقرينني؟

- ولماذا أحتقرك؟ كلّ منّا يحمل عيوبه فوق جبينه، فمَن منّا لا ذنب له ولا وصمة؟ ولكن هذه المدعوة جوانا...

- أنتِ في هذا الأمر مثل أمي التي تظنّ أن بيننا شيئاً، رغم أن كل ما بيننا صلة عمل انقطعت منذ الآن.

- لا لزوم لأن تعرف والدتكَ عنكَ شيئاً.

- لستُ أدري، إذ يخيَّل إليّ أنني يجب أن أخبرها بالحقيقة، وهي خير من يحتمل الصدمات بشجاعة. لقد قطعتُ علاقتي بجوانا وسيسرّها أكثر من ذلك أن تتأكد أنها كانت علاقات عمل ليس إلاّ.

وفي ربع الساعة التالي كانت روزالي قد أفضَت إلى السيدة آلرتون بخطبتها إلى تيم، فراحت السيدة العجوز تقبّلها بسرور، فقد تعلقَت بها كثيراً، أمّا تيم فكان معتكفاً في حجرته منكبّاً على استخراج حبّات العقد النفيس وإعادتها إلى مكانها في الصندوق.

* * *

الفصل العاشر

-١-

أخذ بوارو يقنع الكولونيل ريسي بعد أن ترك تيم آلرتون وروزالي وحدهما بالإغضاء عن ذلك التساهل الذي تورّط فيه مدفوعاً بعطفه على روزالي التي أصبحت لا معين لها في الحياة ولا سند، وكان يعلم أنها تحب ذلك الشابّ حبّاً تكتمه عن جميع الناس، فقال له ريسي: دعك من هذا. أنا أعتقد أنك تعرف القاتل ولكنك تمتحن صبري امتحاناً عسيراً، أم لست تعرفه بربك؟

- بلى، أعرفه. ولكنني أريد أن أستوثق بشكل قاطع أولاً.

- هيا بنا نستعرض النتائج: لدينا أولاً من الدلائل ما يؤكد أن بننغتون ليس هو القاتل، وكذلك ليس آلرتون، وليس فليتوود، فمن هو إذن؟

وبينما كان بوارو يفتح فمه ليجيبه دوّى طرق قويّ على باب الحجرة، ثم دخل الدكتور بسنر ومعه كورنيليا التي صاحت: الآن فقط عرفتُ مِن الآنسة بويرز بمأساة خالتي

وإصابتها بما يسمّونه داء السرقة، فعَظُمَ ذلك على نفسي. لقد دفعها إلى مصارحتي أنها لم يعُد في استطاعتها أن تتحمّل المسؤولية وحدها، ولم أصدّقها في بادئ الأمر ولكن الطبيب تفضّل فشرح لي الموضوع شرحاً علمياً وافياً مبيّناً صلة هذا المرض باختلال الأعصاب، ولكنني أخشى أن تُذاع هذه الوصمة فلا يستطيع أهلي رفع رؤوسهم أمام الناس بعد ذلك.

فقال ريسي وهو ينظر بنظرة جانبية إلى بوارو: لقد قرّرنا التكتّم على هذا الموضوع. اطمئني فلن يُذاع على الناس إلا ما يتصل بجرائم القتل.

عندئذ قال الطبيب بسنر بلطف لم يُعهَد فيه: هذه الفتاة لها قلب رقيق جداً.

- آه، ليس لي قلب رقيق ولكن هو حسن ظنك وجميل رأيك.

ثم احمرّ وجهها حياء فنظر إليها بوارو بخبث قائلاً: ألم تشاهدي فيرغيسون في الساعات الماضية؟

- لم أرَه ولكن خالتي ماري حدّثَتني كثيراً عن مزاياه في الساعة الماضية، فهي تقول إنه عريق المنبت.

- وما رأيكِ أنت؟

- رأيي أنه إنسان مخبول.

فاتجه بوارو إلى بسنر وسأله عن حال مريضه سيمون دويل فقال له: لقد ارتفعت حرارته شيئاً ما ولكن بِنيته القوية

ستساعده على المقاومة ولا شك، وإن تكن جاكلين دي بلفور شديدة القلق عليه بلا سبب، وقد طمأنتُها عليه. كم أعجب من هذه الفتاة التي تُطلق الرصاص على رجل في لحظة ثم يُجَنّ جنونها قلقاً عليه في اللحظة التالية!

– ما دامت حالته مُطَمْئنة فلا يوجد ما يمنع إذن من توجهنا إليه لاستكمال الأسئلة التي فاجأتنا السيدة أوثربورن قبل أن نتمّها حين كنّا معه في آخر مرة، فقد كان بصدد إطلاعنا على مضمون تلك البرقيّة.

– لا مانع عندي من الناحية الطبية، وهي فعلاً برقيّة مضحكة كان يحدّثني عنها منذ قليل؛ فهي تتضمن هذياناً مضحكاً عن بطاطا وخرشوف وبنجر...

فقفز ريسي واقفاً وصرخ: يا إلهي! ريشتي هو ضالّتي، هو المتآمر الدولي؛ فهذه هي الشفرة الدولية الجديدة لتلك العصابة الخطيرة: البطاطا كناية عن الديناميت، والخرشوف كناية عن الرصاص، والبنجر كناية عن المسدسات... ولا شك أنه صمّم على قتل لينيت دويل لأنها فضّت تلك البرقيّة خطأً وقرأت محتوياتها لأنه أيقن أن حياته في خطر إذا باحت بها؛ فهي برقيّة تلفت النظر وتستحقّ الرواية ولو على سبيل التندّر. ما قولك في هذه النظرية يا بوارو؟ أليس هو رجلنا؟

– إنه رجلك أنت، وقد كنتُ دائماً أرتاب في هذا الشخص لأنه كان لا يتحدث إلاّ عن الحفريات، وذلك يوحي بأنه يمثّل دور عالم الآثار في إصرار شديد غير طبيعي في العلماء الحقيقيين. لكن ليس ريشتي هو الذي قتل لينيت

دويل، فأنا أعرف القاتل ولكن لا أمل عندي في إثبات التهمة عليه ما لم أستدرجه إلى الاعتراف.

فقال الدكتور بسنر: ولكن الاعتراف يكاد يكون معجزة مستحيلة الوقوع.

- لا شيء يستحيل على هيركيول بوارو.

- ومن هو القاتل؟

- أنا ممثّل لا يقدّم روائعه إلا أمام جمهور أيها السادة، والحقيقة أنني كنت غبياً يا جمهوري العزيز؛ فقد سمحت لذلك المسدس الصغير المرصَّع بأن يحيّرني ويضلّلني، وكان سبب حيرتي أن المسدس قُذِف به في النيل ولم يتركه القاتل في مكان الجريمة ما دامت خطته قائمة على إلقاء الشبهة على جاكلين صاحبة ذلك المسدس، وقد افترضتُ شتّى الحلول لهذه المعضلة فيما عدا الحلّ الصحيح الوحيد الذي كان آية في البساطة. القاتل لم يترك المسدس بل أخذه معه بعد القتل مباشرة لأنه كان لا بدّ له من ذلك، وهذه هي الحقيقة التي ستظهر فيما بعد.

-٢-

مال بوارو نحو صديقه الكولونيل ثم قال: لقد بدأنا البحث يا صديقي وفي ذهننا فرض معيَّن، وهو وجود شخص ثالث عدا جاكلين وسيمون من مصلحته القضاء على لينيت مع إلصاق التهمة بجاكلين، ولكن تلك النظرية كانت خطأ

محضاً، لماذا؟ لأنه إذا صحّ هذا لوجب القول بأن القاتل لم يدبّر الجريمة من قبل، فاستخدام مسدس جاكلين ما كان ليتيسّر لولا إطلاقها الرصاص على سيمون وهو أمر من المستحيل التنبّؤ به قبل وقوعه. وظروف هذه القضية توحي بأنها مدبَّرة تدبيراً محكَماً وليست من ارتجال الساعة، فلقد احتاج تدبيرها إلى تخدير هيركيول بوارو نفسه، إذ نمت في تلك الليلة نوماً عميقاً ليس من عادتي، وكان تخديري أمراً سهلاً لأنني أجلس إلى مائدة آلرتون (الأم وابنها) وهما لا يشربان الشراب في حين أشربه أنا فقط، ويُضاف إلى ذلك أن إلقاء المسدس في النيل قد خلق لنا مشكلة كبيرة لم يلبث أن حلّها العثور عليه، وكلّنا نذكر أن جثة لينيت دويل كانت بها حروق حول ثقب الرصاصة مما يعني أن فوهة المسدس كانت أُلصقت بجلدها وأن الفوهة لم تكُن مغطّاة بشيء، لكننا حين عثرنا على المسدس وجدناه ملفوفاً بشال الآنسة فان شويلر وبالشال ثقوب حولها حروق تدل على أن المسدس قد أُطلق من داخل طيّات الشال، وقد علّلنا ذلك بالرغبة في كتم الصوت، إذن فالرصاصة التي أُطلقت من داخل طيات الشال وأحدثت به الحروق ليست هي التي أُطلقَت على لينيت دويل وأحدثَت برأسها الحروق، وهذه الرصاصة أيضاً ليست هي التي أطلقَتها جاكلين على ساق سيمون دويل فقد كان للحادث شاهدان لم يقرّرا أن المسدس الذي أطلقَته جاكلين كان ملفوفاً بشال، إذن فقد أُطلقَت رصاصة ثالثة من ذلك المسدس. فلماذا؟ وعلى مَن أُطلقت؟

ثم لدينا نقطة أخرى، فقد وجدت في غرفة لينيت دويل

زجاجتين من طلاء الأظافر من لونين مختلفَين جداً، ففحصت الزجاجة التي كادت أن تكون خالية وهي من لون مخالف للون الذي تصبغ به لينيت أظافرها، فإذا بالنقطتين اللتين فيها عبارة عن قليل من حبر الكتابة الأحمر، ولم يكُن في الأمر سبب لأن تُخفي لينيت دويل الحبر الأحمر في زجاجة طلاء الأظافر وفي وسعها أن تشتري زجاجة حبر بغير حاجة إلى تستّر! فإذا ربطنا بين الحبر الأحمر وبقية الطلاء الأحمر الذي كان عالقاً بالمنديل الرخيص الذي وُجد المسدس ملفوفاً به داخل الشال في قاع النيل لاستنتجنا أن ما كان يصبغ المنديل هو ذلك الحبر الأحمر لأنّ الحبر الأحمر إذا أصاب نسيجاً لم يفارقه مهما نُقع في الماء، بل يبقى له أثر.

بعد ذلك ننتقل إلى مقتل لويز بورجيه فنجدها قد قُتلت على أثر محاولتها ابتزاز المال بتهديد القاتل ولا شك؛ فأنا أذكر جيداً أنها تفوّهت وهي تُلقي بشهادتها بألفاظ ملتوية، وكان ذلك على مسمع من مخدومها سيمون دويل في مقصورة الدكتور بسنر، فقد قالت لي: كيف كنت سأرى القاتل؟ ما كان هذا ليحدث إلا إذا أرِقتُ وصعدت السلّم في تلك اللحظة فرأيتُه داخلاً أو خارجاً.

وإذا بسيمون يهدّئ أعصابها ويُفهمها أن أحداً لا يتهمها بأنها رأت شيئاً، ولا شكّ أنها بذلك الأسلوب الملتوي كانت تريد أن تلمّح للقاتل أو لمن له به صلة أنها رأته وأنها ستتكلم إذا لم تقبض الثمن، ولم يكُن أحدٌ حاضراً فيما عداي أنا والكولونيل والدكتور بسنر ومخدومها سيمون، فأيّنا المقصود بذلك التلميح؟

فصاح بسنر حانقاً: ما هذا؟ أهي محاولة أخرى لإهانتي؟

فجعلت كورنيليا تربّت على ذراعه وتؤكد له أنه ليس المقصود فأردف بوارو بسرعة: وقد تردّدتُ طويلاً بين سيمون دويل والدكتور بسنر، ولكن ما مصلحة الطبيب في قتل لينيت دويل؟ لكن يقابل ذلك أن أكثر من شاهد أجمعوا على أن سيمون دويل لم يغادر قاعة المراقبة إلى أن أطلقت جاكلين الرصاص وعلى أنه قد حُمل إلى مقصورة الدكتور بسنر بعد ذلك حيث استقرّ جريحَ الساق، فلا بدّ إذن أن الطبيب هو القاتل، ولا سيّما أنه من الثابت أن لويز قُتلت بطعنة من مشرط من مشارط الجراحة.

ازدادت علامات الغضب على وجه الطبيب، لكن بوارو استطرد قائلاً: ولكن ردّني عن هذا الاتهام أن الخادمة لويز كانت تستطيع أن تختلي بالطبيب في أيّ وقت لأنه كثير الدخول والخروج ولم تكُن بها حاجة إلى التلميح بهذا الأسلوب الملتوي في تلك اللحظة بالذات، إذن فلا بدّ أن هذه كانت فرصتها الوحيدة، لماذا؟ لا بدّ أن الشخص المقصود لا يمكنه مغادرة الغرفة ولا سبيل للاختلاء به خلسة للمساومة؛ أي أنه سيمون دويل على وجه التحديد. ولذلك بادر سيمون بطمأنتها إشعاراً لها بأنه فهم الإشارة وأنه مستعدّ للتفاهم.

فصرخ بسنر: هذا هذيان؛ فإذا كنتُ أغضب من اتهامك إيّاي مدفوعاً بالحرص على كرامتي فأنا أغضب أيضاً من اتهامك سيمون دويل مدفوعاً بالحرص على عقلي ومنطقي ومعلوماتي الطبّية؛ فكيف تريد من رجل بعظام ساقه كسرٌ

مضاعَف أن يذهب فيقتل ثم يعود دون أن يراه أحد؟! لقد كان مستحيلاً أن يغادر فراشه تلك الليلة.

- أعلم هذا، ولكن هذا هو الواقع، وسترى. فعلى ضوء مقتل لويز بورجيه رحتُ أراجع الجريمة منذ البداية، فتذكّرتُ أن سيمون دويل بقي وحده في القاعة مدة عشر دقائق كاملة، وهي الوقت الذي انصرف فيه فانثورب وكورنيليا ليوصلا جاكلين إلى مقصورتها وتهدئتها ومحاولة منعها من إلقاء نفسها في النيل، فهل كان من الممكن أن يقترف سيمون جريمته في تلك الفترة؟ يؤيّد هذا الفرض أنه كان يعرف موضع المسدس، ولا يوجد ما يمنع من أن يكون قد اتفق مع جاكلين فرفسَت المسدس عمداً، وإطلاق الرصاص قرينة نافعة لإبعاد الشبهة عن سيمون لأنه ما من عاقل يتصوّر قدرته على الجري وهو مكسور الساق، وقد رأى الشاهدان إطلاق الرصاصة كما رأوا المنديل الملوَّث بالدم.

ثم نظر إلى الدكتور بسنر واستطرد قائلاً: ولكن إذا أكملنا الحلقة فإن إطلاق الرصاص لم يكُن عملاً طائشاً من جاكلين التي تجيد الرماية باعترافها، بل كان الهدف هو ساق مائدة من موائد قاعة المراقبة لا ساق سيمون، وكان سيمون قد أعدّ الحبر الأحمر في زجاجة طلاء الأظافر فسكبه في جيبه على المنديل، ثم أخرج المنديل بسرعة فوضعه فوق ساقه ثم راح يتظاهر بالصراخ ويتلوّى، وفي الوقت نفسه بدأت جاكلين نوبتها العصبية، ثم أخذت سيمون النخوةَ فاستنجد بكورنيليا وفانثورب ليكتما الفضيحة ويُعنيا بجاكلين أولاً لكي يطمئنّا على حمايتها من التهوّر، وذلك بوضعها تحت رعاية الممرضة

الآنسة بويرز كي يتوافر لدى جاكلين بذلك دليل بُعدها عن الجريمة المدبَّرة.

والتقط بوارو أنفاسه ثم نظر نحو الأعيُن المشدوهة وقال: وتلك الترتيبات تتيح لدويل عشر دقائق يسرع فيها بالمسدس المرفوس إلى مقصورة زوجته فيقتلها، وقد فعل ذلك حافي القدمين ثم أخرج زجاجة طلاء الأظافر الخالية فوضعها حيث وجدناها لأنه أدرك أن تضميد جرحه ستصحبه عملية إبدال الملابس ولا ينبغي أن يعثر الطبيب على تلك الزجاجة في جيبه، وأيضاً كان عليه أن يتخلص من المنديل، وهو في الوقت نفسه كان قد اختلس شال الآنسة فان شويلر، فعاد بسرعة إلى القاعة فأدخل المسدس بين طيّات الشال وأطلقه على ساقه كي يكتم الشالُ الصوت، ثم فتح النافذة التي وراء ظهره وتحامل على نفسه وقد كتم الألم حتى وصل إلى النافذة فألقى بالمسدس ملفوفاً في الشال والمنديل في النيل، وقد وجده الطبيب مستنداً إلى النافذة بحجّة استنشاق الهواء حتى لا يُغمى عليه. وبذلك امتنع عليه أن يترك المسدس في حجرة زوجته.

كانت علامات الذهول مرتسمة على أوجه الحضور جميعاً في حين كان بوارو يكمل: الحقيقة أن إحكام الجريمة على هذه الصورة يرجع إلى ذكاء جاكلين النادر، وكنتُ قد أدركتُ منذ البداية أنها لا تتورّع عن شيء في سبيل الفوز بحبيبها، وأيضاً كنتُ أرى من معاملة سيمون لزوجته أنه يبالغ في إظهار عواطفه المزعومة نحوها أمام الناس، وهذا غير مألوف في الرجل الإنكليزي. وفي ليلة الحديقة بأسوان عندما

كانت جاكلين تقول إنها تتمنّى أن تقتل لينيت بمسدس تغرسه في لحم رأسها، وكان المسدس في يدها، زعمَت أنها رأت شبحاً يسترق السمع، وقد تأكدتُ من أنه لم يكُن أحدٌ يسترق السمع، أي أنها زعمَت ذلك لتضلّلني عندما تقع الجريمة فينصرف ذهني إلى أن القاتل كان هو ذلك المتلصص، وقد فحصتُ قاعة المراقبة فوجدتُ الرصاصة الصغيرة في ساق إحدى الموائد.

- ولكن مَن قتل لويز؟

- قتلَتها جاكلين؛ فإن سيمون حين سمع تهديد لويز طمأنها ثم طلب منّي أن أدعو جاكلين لمقابلته كي يطمئنّ عليها فتركتهما معاً، فأفضى إليها بتهديد لويز وكلّفها بالاتصال بها، ثم قامت جاكلين بالمهمة على أتمّ وجه مزوَّدة بمشرط من مشارط بسنر التي كان سيمون يعرف مكانها جيداً بطبيعة الحال، ثم غسلَت المشرط وأعادته إلى مكانه. لكن يشاء سوء طالعها أن تراها السيدة أوثربورن خارجة من مقصورة لويز، وكانت جاكلين تتوقع خلو الطريق ساعة الغداء، فلمّا أسرعَت السيدة أوثربورن إلى مقصورة الطبيب لتبلغنا بمعلوماتها المثيرة مزهوّة بنفسها راح سيمون يسألها بصوت عال جداً كي يصل صوته إلى جاكلين التي كان يعلم أنها في المقصورة المجاورة مع الآنسة روزالي، فتنبّهَت وتحيّرَت: ماذا يمكنها أن تصنع؟ وفي تلك اللحظة تذكرَت أن بننغتون كان قد صرّح أمام الجميع بأنه يحمل مسدّساً ضخماً، فبادرت إلى مقصورته وعادت بالمسدس فوقفت تُنصت وراء ستارة الباب، وفي اللحظة المناسبة ضربَت ضربتها. وقد قلتُ أنا عن الطريق الذي

سلكه القاتل إنه غامض، والواقع أن مقصورة جاكلين تبعد عن مقصورة الدكتور بسنر كثيراً فلم يكُن أمامها سوى أن تقفز فوق الحاجز إلى السطح.

- ولكن مسدس جاكلين لم تنطلق منه إلا رصاصتان فقط.

- لقد فكّرَت في كل شيء بالتفصيل، فأحضرَت معها رصاصة إضافية وضعها سيمون في المسدس قبل أن يطلقها على نفسه.

ثم التفت إلى الطبيب وقال: والآن يا سيدي الطبيب عليك أن تُعِدّ مريضك القاتل لمواجهة الموقف.

لقد كان بوارو مصيباً في اكتشاف هذه الحقيقة والوصول إلى معرفة القاتل؛ فقد تآمر سيمون مع حبيبته جاكلين على سلب أموال لينيت بطريقة شرعية، فتظاهر بحبها وتزوّجها وهو يعلم أنها إذا ماتت أو قُتلت آلت ثروتها إليه فينعم بها مع جاكلين التي دبّرَت معه هذه المؤامرة الغريبة.

* * *

الخاتمة

وصلت الباخرة «الكرنك» إلى مرساها ببلدة الشلاّل جنوبي أسوان مع بواكير أشعة الفجر، وكان بوارو يتأمل منظر الصخور البارزة من مياه النهر عندما وافاه ريسي قائلاً: لقد أعددتُ لكل شيء عدته، وسيكون ريشتي أوّل مَن ينزل إلى الشاطئ وفي يديه الأغلال الحديدية. كم أنا سعيد بالقبض على ذلك المتآمر الدولي الخطر، وكذلك على ذلك السفاح الأثيم سيمون دويل.

– لا تنس أنه ظنّ أول الأمر أن جاكلين هي التي اعترفَت لنا فلم يجد بدّاً من الاعتراف.

– إنه يستحق الشنق؛ فهو نذل خسيس، ولكنني آسف لمصير الفتاة.

– هذه امرأة خطيرة لا تبالي بالعواقب.

وعندئذ أقبلَت عليهما كورنيليا روبسون فقالت: لقد كنتُ معها، أعني مع جاكلين، فأنا أشفق عليها من ذلك الحبس الذي لا تفارقها فيه كبيرة الخادمات.

في تلك اللحظة أقبلَت الآنسة فان شويلر فصاحت بابنة أختها بغضب: لقد أخطأتِ خطأ شائناً بالجلوس مع هذه المرأة، ولهذا سأبعث بك فوراً إلى الوطن.

- ولكنني لستُ عائدة إلى الوطن يا خالتي بكل أسف؛ فسوف أتزوج.

- إذن فلقد أصغيتِ لصوت العقل أخيراً.

- لقد أسأتِ فهمي يا خالتي؛ فليس فيرغيسون هو الذي سأتزوجه، بل الدكتور بسنر الذي طلب يدي.

وفي تلك اللحظة ألقت الباخرة مراسيها وضُرب حول الركّاب سياج، ثم طُلب منهم أن يتريّثوا فلا ينزلوا منها. وسيق ريشتي وهو شاحب الوجه إلى الشاطئ، وبعد برهة جيء بنقّالة فحملوا عليها سيمون دويل الذي كان يبدو كالموتى، إذ ارتسم الفزع على كيانه وفارقته ملاحته المشهورة كأن لم يكُن لها وجود، ثم تبعَته جاكلين دي بلفور.

وفجأة تراجعت جاكلين قليلاً فحمل الحمالون المحفّة، وانحنت جاكلين لتربط حذاءها ثم ارتفعت يدها إلى قمة جوربها ثم انتصبَت واقفة وفي يدها شيء ما، وكان هذا الشيء مسدساً! أطلقته على سيمون فانتفض انتفاضة واحدة قوية ثم سكن، فألقت إليه بابتسامة غائمة ثم وجهت المسدس إلى قلبها وضغطت الزناد فسقطَت حيث كانت واقفة بلا حراك.

صاح ريسي مستنكراً، أمّا بوارو فلم يتحرك، ثم أحس

بيد توضع على ذراعه، فالتفت ليرى السيدة آلرتون تقول: لقد كنتَ تعلم سلفاً، أليس كذلك؟

- بلى؛ فقد كنتُ أعرف أن لديها اثنين من ذلك النوع.

- وهل كنتَ تريدها أن تختار هذا الطريق؟

- نعم؛ فهذه ميتة تليق بها.

- ولكن الوغد حظي بميتة أسهل مما يستحقّ. آه، الآن آمنتُ أن الحب العميق قد يكون وبالاً عظيماً.

- أجل، وأكثر ما كانت قصص الحب الكبرى من نوع المأساة.

ثم وقع نظر السيدة آلرتون على ابنها متأبطاً ذراع روزالي فقالت بحماسة: ولكنني أحمد الله على أن في الدنيا أيضاً حبّاً يؤدّي إلى السعادة.

- احمدي الله على ذلك يا سيدتي؛ فبالشكر تدوم النعم.

ثم بدأ الركاب يغادرون «الكرنك» ليتفرقوا بعد ذلك، فمضى كل منهم إلى وجهته بعد أن جمع بينهم القدر لأمر كان منذ الأزل مقدوراً مسطوراً.

* * *

(تمت)